المعرفة والتفكير المعاصر

(اكتسابها - أنماطها - تنميتها)



تأليف

رعد سليم الصفّار

دبلوماسي عراقي سابق





المعرفـة والتفكيـر المعاصـر

(اكتسابها - أنماطها - تنميتها)

الطبعة الأولى

1436هـ - 2016م



شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جــوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2015/8/3675)

رقم التصنيف:153

المؤلف ومن في حكمه:

رعد سليم الصفار

الناشر

شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

المعرفة والتفكير المعاصر

(اكتسابها،انماطها، تنميتها)

الواصفات:

/ العمليات العقلية/ / المعرفة/ / التفكير/

ISBN :978-9957-590-55-0

المعرفة والتفكير المعاصر

(اكتسابها - أنماطها - تنميتها)

تأليف

رعد سليم الصفّار

دبلوماسي عراقي سابق



شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع

المقدمـة

الأفراد يعملون ويِصْلون إلى نتـائج أعمالهـم بـدون أن تكـون لهـم خطـة ثابتة تعزز المسالك والطرق التي يسلكونها. إذ يسـتخدم كـل واحـد مـنهم تلـك المعارف والخبرات التي اكتسبها في فترة مـا في معالجـة المواقـف الجديـدة التـي يواجهونها في الحياة اليومية.

إن المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هي الفكـر ككـائن قبـل اللغـة لأن اللغة ليست إلا وسيلة من وسـائل كثـيرة اهتـدت إليهـا البشريـة للإفصـاح عـن أفكارها وعواطفها وخبرتها ونشاطها الذاتي، فأي معرفة يكتسبها الفرد إنما ناشئة عن خبرته وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطة به، وعن نشاطه وكفاحه من اجـل البقاء والحصول على لقمة العـيش والكسـاء والمـأوى ومـن اجـل التغلـب عـلى المشاكل التي تواجهه في الحياة.

فالمعرفة وجدت منذ أن وُجِد الإنسان والكائنات الحية الأخرى وما يهمنـا أن نبحث به هو الإنسان حيث بدأ يحس بما يدور حوله من مخاطر وتهديدات بدءً من الخوف من أخيه الإنسان ومن ثم تـألفوا فـيما بعـد وكونـوا تجمعـات بشرية لخوفهم من الحيوانـات وبـدأوا يكتشـفون الكهـوف والمغـارات والحفـر للاحتماء بها من الحيوانـات والكـوارث الطبيعيـة التـي يجهـل أسـباب حـدوثها ومن ثم فكر الإنسان بإيقاد النار لطرد الحيوان وكل مـا يهـدده وأدرك الإنسـان ايضاً ماذا يضع على جسده وكذلك اخترع وسائل للصـيد وغيرهـا مـن حاجـات أخرى. أي بمرور الـزمن بـدأ يعـرف مـاذا يريـد وغيرهـا مـن المـدركات الأخـرى

والوسائل مجتمعة شكلت عنده في بداية الأمر المعرفة وتطورت على ما نحن عليه الآن من اختراعات مختلفة في شتى المجالات خدمة للبشرية كلها.

من هو الإنسان

يمتلك الإنسان خلافاً لبقية الكائنات الحية على الأرض دماغ عالي التطور قادر على التفكير واستخدام اللغة والنطق والتفكير الداخلي الذاتي وإيجاد الحلول للمشاكل والعقبات التي يواجهها.

فالإنسان الكائن الحي الوحيد على البسيطة الذي يستطيع توظيف قدراته العقلية والبدنية. حيث هناك ثلاثة أطوار للدماغ: طور الدماغ الانفعالي، طور الدماغ الغريزي فالإنسان مشترك مع الحيوان بهذين الدماغين إلا أن الطور الثالث طور دماغ العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان.

وكما نعرف أن الإنسان هو كائن اجتماعي بطبعه وبارع في استخدام نظم التواصل الاجتماعي وخصوصاً بعد ظهور وسائل الاتصال الحديثة مثل تويتر، الفيس بوك وغيرها التي من خلالها عبر عن ذاته وتبادل الأفكار والآراء واستطاع أن ينظم هياكل اجتماعية مع مجموعات متعاونة ومتنافسة بدءً من تأسيس العائلة وانتهاءً بالأمم.

فالتفاعل الاجتماعي بين البشر أسفر عن ظهور واسع ومتنوع من المعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية والطقوس الدينية التي شكلت عملياً أساس كل مجتمع إنساني، كذلك يتميز الإنسان بحسه الجمالي وتذوقه وتقديره وتذوقه

للجمال وهو ما يبعث في الإنسان الحاجة للتعبير عن الذات والإبـداع الثقـافي في الفن والأدب والموسيقى والمعرفة.

الإنسان ايضاً لديه الرغبة في الفهم والإدراك والتأثير عـلى محيطـه البيئـي وحاجته للبحث عن الظواهر الطبيعية ومحاولة فهمهـا ومعرفـة القـوانين التـي تضبطها. مـن هنـا ظهـرت العلـوم والفلسـفة والمعرفـة والميثولوجيـا (الاسـاطير، الفلكلور) والدين.

الدماغ موجود في معظم الكائنات الحية كما ذكـرت بيـنما الإنسـان لديـه (الدماغ والعقـل) فالـدماغ هـو المسـؤول عـن حركـة الإنسـان الماديـة وتشـمل السيطرة الكاملـة عـلى أعضـاء الجسـم الخارجيـة والداخليـة بيـنما العقـل هـو المسؤول عن حركة الإنسان اللامادية كالمشاعر والوجدان والاعتقاد.

على مر العصور دخل الإنسان في مرحلة جديدة في اكتشاف العلم بشـتى أنواعه حيث كان الإنسان في بداياته هدفـه الأسـاسي هـو العـيش، إلا أن لعلـوم الفلسفة دوراً كبيراً في النمو العقلي وتوسع آفاق ومدارك الإنسـان حيـث كانـت الفلسفة تتسع لتشمل جميع العلوم.

فالإنســان نتيجــة المواصـفات والقـدرات العاليـة عـلى التكييـف مكنتـه مـن الاستمرارية وعدم الانقراض

إذن هو عبرة العبر وحـيرة الحـير، يجـيء مـن حيـث لا يـدري، ويمضي إلى حيث لا يدري، يحلّ في هذه الأرض ردحاً من الـزمن فينبهـر بمـا يـرى ويسـحره جمال ما يسمع فوقه نجوم لاتُعـد وحولـه فضـاء لايُحـد، وخلفـه وأمامـه حيـاة

تتردى كلّ لحظة برداء، فصول تعقب فصولاً، وأجيال تلحق بأجيال، نهار تبتلعه ظلمة، وظلمة يمحوها نهار، ولادة وموت، وموت وولادة، وبين الولادة والموت أشواق لا تنطفيء حتى تلتهب، وآلام حتى تهيج، وسعادة لا تورق حتى تذوي، وعطش لا يرتوي حتى يعود، وجوع لا يطمئن حتى يثور.

فالإنسان أحجية الأحاجي منذ خالجت نفسه اليقظة حتى اليوم وهو في صراع مع الطبيعة، لا يصرعها مرة حتى تصرعه ألف مرة، ولا يتغلب على عثرة من عثراتها حتى تقيم في سبيله ألف عثرة وعثرة، ولا يرفع الغطاء عن سر من أسرارها حتى تباغته بألف سرّ وسرّ، ومن الغريب انه مع ضعفه الواضح وجبروتها الظاهر لا يزال هذا الإنسان يصارعها، فلا هو ينثني ولاهي ترحم، ولا هو يقرّ لها بالغلبة ولا هي تسحقه فتستريح منه وتريحه.

فما السرّ في حرب هذا الإنسان مع الكون الذي يصرعه فلا يلبث أن يعود منتصباً على ساقيه متحفزاً للوثوب باحثاً عن الأدلة والبراهين والعلوم والمعرفة في هذا الكون، وينزل به من المصائب أشكالاً فيتحملها بثبات وصبر وغيرها من عقبات؟

السر هي تلك القوى الروحية والمعرفية غير الفانية التي ترفعه فوق الحيوانية، وتريه في دياجير الحياة وميض وأنوار تحبب إليه الحياة وتذكي في داخله شرارة أمل بأن لابد أن يدرك يوماً ما نحن طالبون، أي قوى الروح تسيره على غير معرفة منّه ويشعر بها إنما لا يدركها بعد.لذاك نبحث عنها حتى

إذا ما وجدناها وجدنا أنفسنا فعرفنا إذ ذاك منزلتنا من الكون وسرنا معه لا ضده لنّم ويتم بنا.

اجل إننا في كلّ ما نفعل وكلّ ما نقول ونكتب إنما نفتش عن أنفسنا، فأن سَعينا للمعرفة فإنما نجد أنفسنا فيها. وان سعينا وراء الجمال فإنما نسعى وراء أنفسنا في الجمال وأن طلبنا الفضيلة فلا نطلب إلا أنفسنا في الفضيلة وان اكتشفنا سراً من أسرار الطبيعة فما نحن إلا مكتشفون سراً من أسرارها، فكلّ ما يأتيه الإنسان إنما يدور حول محور واحد هو ـ الإنسان ـ حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه وآدابه ومعرفته، فالإنسان في كلها يسعى وراء آمر واحد وهو أن يظهر نفسه لنفسه عَلَهُ يدرك القوى التي تسير به في بحر الوجود. فيهمل منها ما لا يزيده من معرفة وتأريخ المدنية تعطينا الأمثلة الكثيرة على انتقاء كل ما فيه من اثر روحي ومعرفي وإهمال ما ليس فيه من أثر يذكر.

فالإنسان هو من يقود ويكتشف ويطور العلوم والمعرفة ويضع أسسها ونظامها وقواعدها لتستفيد منها البشرية في كافة أرجاء المعمورة.

وجدت من الضروري أن نعرف ما هي هذه المعرفة وما هي مقوماتها وبيئتها ونظمها وقوانينها وأدواتها وسبل تحقيقها وأين نحن العرب منها؟

المعرفة: باللغة الانكليزية EPISTEMOLOGY وهي فرع من فروع الفلسفة التي تهتم بمجال المعرفة وتجيبنا على الأسئلة التالية: ما هي المعرفة، ما

هو مدى المعرفة لموضوع ما؟ وتركز الفلسفة على طبيعة وتحليل المعرفة وعن مدى ارتباطها بمفاهيم الحقيقة والإيمان والتبرير.

فالمعرفة: هي الإمكانات والخبرات الفردية والمؤسسية والمجتمعية الناشئة من خلال التفاعل الديناميكي بين العقل والعلم والفكرة والمهارة والتكنولوجيا من خلال توظيف ذلك في العملية الإنتاجية من سلع وخدمات وأفكار ومعارف في إطار التشابكات الأفقية والعمودية العميقة.

نظرية المعرفة عند العرب

اهتم العديد من العرب والمسلمين بنظريات المعرفة منهم ابن سينا، ابن رشد، والغزالي وغيرهم وقد قسموا نظرية المعرفة إلى ستة علماً أنهم أي العلماء العرب لم يجمعوا عليها كلها وهذه النظريات هي:

- الأولية: وهي التي نسلم بها ونصدقها بيقينها ولا نكتبها ولا تحتاج إلى البرهان
- التجريبية: وهي أحكام الإدراك والحواس.
- الاستبطان: وهي أي المعرفة والملاحظة الذاتية للأفكار والأحاسيس العقلية مثل الجوع والعطش والألم.
- المقبولة: وهي الأحكام التي يكون عليها الإجماع والاتفاق.
- الأخلاقية: وهي المتفق عليها من القيم.
- البراهين والاستدلالات: وهي المعرفة التي تستنتج من خلال استعمال الملكة الفكرية.

نظرية المعرفة عند الغرب

أشهرهم كاستون باشلار، كارل بوبر، الكسـندر كـواري، بـول فيرابنـد. أما الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فيريدرك فقد رأى أن نظرية المعرفة:

هـي إحـدى البحـوث الكـبرى في الفلسـفة التـي تـدرس طبيعـة وشروط تشكيل المعرفة. أما الفيلسوف (لالاند) فيُعرفْ المعرفة بمعجمه الفلسـفي بأنهـا فلسـفة العلـوم وهـذه بطبيعتهـا تختلـف عـن الدراسـات الوصـفية لمنـاهج العلوم(ميثادولوجيا) كما أنها ليست حدسا للقوانين لأن الايبسـتمولوجيا تـدرس بشكل نقدي مبـادئ كافـة أنـواع العلـوم وفروضـها ونتائجهـا لتحديـد أساسـها المنطقي(LOGICALLY) لا النفسي وبيان قيمتها الوضعية.

معظم الجدل والنقاش في هذا الفرع الفلسفي يدور حول طبيعة المعرفة وشروط بنائها وارتباطها بمصطلحات مثـل الحقيقـة، الاعتقـاد، التعليـل(التبريـر) وتدرس نظرية المعرفـة ايضـاً وسـائل إنتـاج المعرفـة وتفنـد إدعاءاتهـا المختلفـة بعبارة أخرى نظرية المعرفة تجيب على مـا هـي المعرفـة وكيـف يـتم الحصـول عليها؟

مدارس نظرية المعرفة

هناك مدارس مختلفة للمعرفة منها:

- التجريبيون: اللذين يوعزون المعرفة إلى الحواس.
- العقليون: اللذين يؤكدون على أن بعض مبادئ المعرفـة مصـدرها العقـل لا الخبرة الحسية.

- الواقعيون: اللذين يؤكدون على أن المعرفة موضوعها مستقل عن الذات العارفة.
- المثاليون: اللذين يؤكدون على أن الموضوع عقلي في طبيعته لان الذات لا تدرك إلا الأفكار.

إلا أن تلك المدارس ايضاً اختلفت في مدى المعرفة فمنها من يقول أن العقل يدرك المعرفة اليقينية ومنهم ما يجعل المعرفة كلها احتمالية ومنها ما يجعل معرفة العالم مستحيلة.

أقسام الابستمولوجي

- الفلسفة الوضعية :(POSITIVISM) وهي فلسفة تعتمد على الأرقام لأنهم يعتقدون أن الأرقام لا تكذب.
- الفلسفة التفسيرية:(INTERPRETIVISIM)و(PHENOMENOLOG) وهي فلسفة تعتمد على الشرح.
- الفلسفة الواقعية: (REALISM) وهي فلسفة تقع بين الفلسفة الوضعية والواقعية.

ما هي مفاتيح المعرفة

- الحواس: حاسة البصر في معرفة ما يقرأ ويشاهد، والسمع لمعرفة أحاديث الناس والمجتمع المحيط بالإنسان، واللمس لمعرفة حقيقة المادة من زيفها، والشم لمعرفة رائحة الأشياء التي يعيش في وسطها.

- العقل: هو الجهاز الذي يقوم بالخيال والتفكير والمنطق ويستقبل تفاعلات الفرد الحسية والاجتماعية المستمرة والدورية.
- اللغة: وهي بمثابة مرآة العقل.
- العلاقات الاجتماعية: التي تبدأ من العلاقات الأسرية والأصدقاء والزمالة والجماعات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية.

وسائل نشر المعرفة

1- التنشئة:

الاهتمام بمرحلة الطفولة كونها الأساس في نسيج الوجود الإنساني، العمل على تنشئته العلمية التي من شأنها السماح بحرية حركة الطفل للاكتشاف والتجربة، والتجاوب مع ما يطرحه من أسئلة عن ظواهر تحيط به بأسلوب الانسجام والتفاهم الحضاري لا بأسلوب التسلط الأبوي القاسي المهيمن على أجواء العائلة العربية نتيجة للتقاليد البالية التي لا تنسجم ومتطلبات المعرفة. فعندما ينشأ الطفل بين أحضان أبوين مثقّفين ومحبي للعلم والمعرفة يكون ذلك الطفل طموحاً وتواقاً للعلم والفنون، مُطلع على الثقافات الأخرى، وصاحب فكر ومنهج ترسم مستقبله، متمسك بالقيم والمُثُلْ وكل هذا يجعل منه شخصية معرفية نافذة ومرموقة بالمجتمع.

2- المدرسة:

التركيز على ممارسة الديمقراطية بين التلميذ والمعلم التي من شأنها أن تساهم في تربية الطفل وتنشئته بأسلوب ومحتوى ديمقراطي ثم اعتماد الطرق

الحديثة بالتدريس منها التركيز على تنمية التفكير وتحليل المادة أو المنهج الدراسي المُقرْ لكل مرحلة دراسية يعني جعل التلميذ كيف يفكر(HOW TO THINK) لا كيف يُلَقَنْ (INITIATION) .

3- وسائل الإعلام:

تساهم وسائل الإعلام وبشكل مباشر بجزء من تنشئة الأجيال، الأمر الذي يتطلب الكثير من التخصص والاهتمام بالمادة المقدمة لهم عبر وسائل الإعلام المختلفة الحديثة مثل تقنية المعلومات، الكومبيوتر، الانترنيت، الشبكة العنكبوتية، البريد الالكتروني، الأقراص المدمجة إضافة إلى القنوات الفضائية التي تنقل الأحداث والابتكارات والمعلومات مباشرة وقت حدوثها عبر الأقمار الصناعية. فالمعلومات المتجددة التي تصل عبر تلك الوسائل الحديثة دفعت الفرد إلى تنوع مصادر معلوماته وتحديثها مع التلاقح بالمعلومات القديمة قبل أن يتبناها بشكلها النهائي في حياته اليومية.

طرق اكتساب المعرفة

تمتلك الإنسانية كم هائل من المعرفة التي توصلت إليها عبر فترات زمنية طويلة من تاريخ وجودها، ولكن كيف توصلت البشرية إلى هذه المعرفة؟ هذا هو السؤال الذي يجب الإجابة عليه، حيث أن هذه المعارف لم تأتي من فراغ أو أنزلت عليه مرة واحدة وستبقى على ما هي عليه والى الأبد، إنما هي جهد إنساني كبير بذله ذلك الإنسان ومنذُ اللحظة الأولى لوجوده على هذه الأرض ولا زال يبذله ولحد الآن، هذا الجهد الذي أخذ طرق عدة تماثلت بمحتواها مع

طرق التعلم والتفكير، إلا إنها تقاطعت معها في التسمية، إذ أطلـق عليهـا أسـم طرق اكتساب المعرفة، والتي هي طرق للتعلم والتفكير معا وهي:

• طريقـة الارتبـاط والاشـتراط METHOD OF CONDITION AND CORRELATION

أن معظم السلوك الإنسـاني هـو نتـاج عمليـات الـتعلم المختلفـة، والتـي تنطوي على تفاعل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها، وإحدى تلك الطرق هي عملية الارتباط أو الاقتران بين مثيرات معينة، والتي تقـود ذلـك الإنسـان إلى أن يستجيب، أو يسلك طرق معينة حسب ما يستوعبها وما فيها من إثارة، فالتعلم ينشأ نتيجة لحدوث ارتباط بين مثير ما واستجابة معينـة، بحيـث إذا ظهـر هـذا المثير مرة أخرى فان الاستجابة التي ارتبطت به سوف تظهر هي الأخرى.

وأولى هذه المثيرات التي تعرض لها الإنسان هي المثـيرات الطبيعيـة التـي وجدت في بيئته والتي منها الرعد، المطر، الحيوانات المفترسة، الجـوع، العطـش، الفيضـانات، الهـزات الأرضـية، البراكـين، الـبرد... وغيرهـا. مـما أدى إلى حـدوث استجابات انفعالية مشروطة لديه كالخوف والقلق والانفعال والسرور والنفـور، والتي كانت اللبنة الأولى في هرم معرفة الإنسان، إذ إن ما يعرفه إنسان مـا، إنمـا ينجم جزئيا مما يتعلمه هذا الإنسان من بيئته المادية والاجتماعية أي مـن عـالم الناس والأشياء ولم يكتفي بذلك فقط وإنما كان للارتباط العرضي بين حادثين اثـر في النمو المعرفي لذلك الإنسان، فالطفل يكتسب اللغة التي يتعلمها عـن طريـق حدوث هذه الارتباطـات بـين الألفـاظ والأشـياء التـي ترمـز لهـا هـذه الألفـاظ

ولا تقتصر هذه الارتباطات على مجـرد تفسـير تعلـم الاسـتجابات اللفظيـة، بـل تتعداها إلى نطاق تعلم الانفعالات والأفكار المختلفة.

كما أن الإنسان لم يقف عند ذلـك الحـد مـن المعرفـة وإنمـا جـال بـبصره بالظواهر الطبيعية من حوله وأول ما حاول ملاحظته هو أوجه التشابه في تلـك الطبيعة، والتي بينت له أن الكائنات الحية لا تلد إلا الشيء الذي يشبهها، وأولى أفكاره تلك تجسدت واضحة من خلال ممارساته الخيالية الموثقة برسوماته التي تركها على جدران الكهوف التي سكنها، حيث أن تلك الرسوم قد بينـت لنـا بـان أول أفكار الإنسان التي بناها عـلى مخيلتـه قـد اعتمـدت عـلى مبـدأ أن العلـل المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة، ولذلك سمي المختصون هذا المبـدأ بقـانون التشـابه Low of similarity. ويقـوم هـذا القـانون عـلى ضرورة الـربط بـين المعلومات الجديدة والتي لم يكتسبها الفرد بعد ويروم اكتسابها وبين المعلومات أو المعلومة (الموجودة) لدى الفرد، وهكذا نجد أن هذا القانون يعد أداة فعالـة في بناء المعرفة.

- طريقة المحاولة والخطأ Trailed Error Method

إن خبرة الفرد وتجربته الذاتيـة تلعـب دوراً كبـيراً و أساسـياً للوصـول إلى جملة من المعارف والأفكار، التي تميزت بها المرحلـة الأولى للوجـود الـبشري، أي حينما كان الإنسان لا يبدي اهتماما بالعلاقات بـين الظـواهر التـي يلاحظهـا، أو يحاول التعمق بالأسباب الكامنة خلفها، وإنما كانت معارفه تتركـز عـلى المعرفـة من أجل البقاء واستمرار ذلك البقـاء، وفي هـذه المرحلـة لم يكـن لـدى الإنسـان

شرح منطقي لجميع الظواهر التي يلاحظها، إذ كانت اغلب ملاحظاته عرضية وآنية، فقد كان يتحرك بطريقة غير منتظمة، فهو يتخبط في سلوكه، ويكرر محاولاته كي يجد حلا معقولاً لما يعترضه، رغم أن تلك المعارف كان يتم الوصول إليها بالمصادفة في أغلب الأحيان.

إذ تعد المصادفة من أقدم الطرق التي ساهمت في تطوير المعرفة نتيجة لتعرض الفرد لموقف معين، ولعدد من التجارب الحياتية الغير مقصودة، والناتجة عن أسباب عرضية، أدت إلى خلق خبرة ذاتية لدى الفرد، أهلته لبناء تعميمات نقلها إلى الآخرين كمعرفة لم يكن عنصر القصد متوفر فيها، أو كخبرة يقوم بتعميمها على مواقف أخرى إلى جانب ذلك كان يصل إلى تلك المعارف من خلال محاولاته المقصودة، فقد كان ينتقل بمستوى المعرفة إلى مستوى البحث عن أسباب وتفسيرات لتلك الظواهر ويذهب إلى ابعد من ذلك عند محاولته بالتجربة المتكررة للتوصل إلى تفسير لهذه الظواهر.

فأننا نجده يبحث باستمرار وبإصرار وبعدد كبير من المحاولات وعلى غير هدى أو بينة من أمره، فتراه يترك محاولته الأولى لأنها لم تصل به إلى غايته، ليختار غيرها و يترك طريقاً ويسلك أخر، حتى يجد حلا معقولا أو تفسيراً لم يلاحظه سابقا يوصله إلى تلك المعارف.

ومن خلال تلك المحاولات والإجراءات المتكررة استطاع الإنسان الإمساك بجملة من المبادئ والتي تضاعفت بالتدريج مما أدى إلى تراكمها، أن

هذا الأسلوب يعتبر من أول الطرق البدائية ذات الطابع العملي والنظري والتـي استخدمت وكان لها الأساس الأول في تطوير العلم والمعرفة.

• الاستنباط Deduction

تعتبر هذه الطريقـة (الأسـلوب) المنطقيـة، وكخطـوة إلى الإمـام بالنسـبة للأساليب التي طور بها الإنسان طريقة تعلمـه ومعارفـه عـن الأشـياء الجديـدة تمثل عدد من العمليات الذهنية التي تدور كلها في العقـل وبمنـأى عـن الواقـع والتي قادتـه بمجموعهـا إلى التفكـير بالقيـاس المنطقـي Thinking syllogism الذي هو عملية عقلية نستدل بها عـلى صحة قضـية مـا بالقيـاس عـلى قضـية أخرى. حيث يتم فيه البرهنة على المعرفة القديمة التي يفترض صـحتها للتوصـل إلى المعرفة الجديدة وبذلك تكون المعرفة القديمة سببا، والمعرفة الجديـدة هـي النتيجة.فالقياس Measuring لدى (أرسطو) هو حركة فكرية ينتقل فيها العقل من حكم كلي إلى أحكام جزئية، أو من حكم عام إلى حكـم خـاص، حيـث يبـدأ من فكرة عامة شائعة أو ما يبـدو انـه مـن المسـلمات، ولـذا فانـه لا يحتـاج إلى تحقيق اختبـاري عـن مواجهـة الواقـع، أو قـد يبـدو غـير قابـل لـذلك التحقـق الاختباري، لان تلك الفكرة تمثل موقف أخلاقي أو إيماني.

ويقوم الاستنباط Deduction على نسق من التعريفات والفروض المسلم بصحتها من البداية ننتقل فيها وبما يترتب عليها من نتائج إلى النظريـات. أي أن المعرفة الجزئية توصلنا إلى المعرفة الكليـة بالاسـتنباط أو الاسـتدلال عـلى الكـل بالجزء والانتقال من العام إلى الخاص ومن المبادئ إلى النتائج ويستخدم لاختبار

صحة حقيقة أو نتيجة معينة، ينتقل فيه الشخص المفكر من مقدمة أو أكثر ليستدل على معرفة جديدة من معرفة قديمة. ويسمى الاستنباط من مقدمة واحدة استدلالا مباشراً، والاستدلال Inference عملية منطقية ينتقل فيها الفكر من قضية معلومة إلى قضية جديدة.

والاستدلال قد يكون استدلال استنباطيا حينما ينتقل الفكر من العام إلى الخاص ومن المبدأ إلى النتيجة، أو يكون استدلالاً استقرائياً عندما ينتقل الفكر من الخاص إلى العام، ومن الواقع إلى القانون، كما قد يكون استدلالاً رياضياً يبدأ من الواقع لا من حيث مادته، وإنما من حيث مقاديره ومقاييسه.

والتفكير الاستنباطي: Deductive Thinking هو مرحلة التفلسف، أو مرحلة التدليل العقلي المنطقي ضمن مراحل تطور التفكير الإنساني. فهو عملية معرفية تدور كلها في العقل ومن خلال التدليل العقلي يستطيع الفرد أن يتوصل إلى الحقيقة الكاملة لكل ما يحيط به. وكمثال لعرض التفكير الاستنباطي، فان الهندسة الاقليدسيه مثال ممتاز، حيث تدرس الأشكال وتخضع لمجموعة من النظريات والمسلمات وضعها (اقليدس بن نوقطرس بن نرقيس الاسكندري، هو عالم رياضيات يوناني يلقب بأبي الهندسة، أشهر كتبه "العناصر" الذي استُخّدم بتدريس الرياضيات والهندسة) والتي تستعمل فيها المسطرة والفرجال لإنشاء الأشكال، ثم تطبق هذه النظريات في حل مسائل أخرى مثل المستقيم، النقطة، القطعة، الدائرة.

- الاستقراء Induction

تعتبر هـذه الطريقـة مـن أكـثر الطـرق تقـدما مـن سـابقاتها، فالأسـلوب الاستقرائي جاء ليكمل الطريقة الإسـتنباطية في البحـث عـن المعرفـة، وفيـه يـتم التحقق من صدق معرفـة جزئيـة بـالاعتماد عـلى الملاحظـة والتجربـة الحسـية المتكررة التي تساعد الباحث على تعميم نتائج بحثه ففيها ينتقـل مـن الخـاص إلى العـام، ومـن النتـائج إلى مبادئهـا، ومـن الظـواهر إلى قوانينهـا، وبـذلك يـتم الانتقـال مـن الحقـائق المحسوسـة والجُزيئـات والتفصـيلات إلى الكليـات والتعميمات، من خلال قيـام الباحـث بجمـع الأدلـة التـي تسـاعد عـلى إصـدار تعميمات محتملة الصدق.

والاستقراء ليس برهانا ولكن صدقا احتماليا يساعدنا على التنبؤ بالظواهر والحوادث المستقبلية ويعتبر أكـثر دقـة إذا أمكـن تحويـل المعلومـات المتعلقـة بالظواهر إلى تعبير كمي، وعليه فإن الصـدق في العلـوم الاسـتقرائية أو الماديـة، هو صدق مادي لان قضايا هذه العلوم تتطابق مع الواقع الخارجي، في حـين أن الصدق في العلـوم الاسـتنباطية هـو صـدق صـوري والنتـائج فيهـا تتطـابق مـع الفروض.

كما إن الصدق في العلوم الاستقرائية واحد، بينما تتعدد صـور الصـدق في العلوم الإستنباطية بتعدد أنساقها الصورية. والاستقراء يوسـع نطـاق الملاحظـة، لأن الملاحظـة لا تشـمل إلا عـددا محـدودا مـن الظـواهر، مـما يعنـي حقـائق محدده، يمكننا الوصول إليها من خلال تلك الملاحظة المباشرة، والتي نبني عليهـا

النتائج العامة، أما القانون المستخرج منها فهو عام شامل لعدد غير معين من الظواهر، فكأننا نحكم بالجزء على الكل، وبالمحدود على غير المحدود، وعموما فأن الاستقراء على نوعين هما: الاستقراء التام والاستقراء الناقص.

أما الاستقراء التام Elaborate or Complete Induction: فهو أسلوباً للتفكير يعد وسيلة من وسائل المعرفة وليس غاية في حد ذاته. ويقوم على تعداد جميع الأمثلة الجزئية التي تشترك في صفات خاصة، تم تلخيصها في قوانين عامة. وفيه يتم التحقق من صحة المعرفة بالخبرة المباشرة عن طريق الحواس.

بينما الاستقراء الناقص incomplete or imperfect induction: يسمى بالتوسعي أو التعميمي، لأنه يوسع المجال الذي تصدق فيه فكرة ما. وهو أسلوب تفكير يتم فيه الانتقال من الملاحظة والتجربة إلى مرحله تكوين الفرضيات التي تفسر كل الملاحظات والتجارب ومن ثم اختباره بحيث يرتقي حكمه إلى مرتبة حكم القانون إذا ما ثبت صدقه، ويكون معرفة احتمالية يقبل بها الباحث كتقريب للواقع، ويقوم على ملاحظة الظواهر وإجراء التجارب على بعض الأمثلة واستخلاص القوانين وتصميمها على الظواهر والحالات المماثلة وهو ما يصح أن نطلق عليه تسمية الاستقراء العلمي.

ونستطيع من خلال ما تقدم أن نقدم مثالا تطبيقياً للتفكير الاستقرائي:

- مثال:
  - الخلية وحدة البناء في جسم الإنسان.

- الخلية وحدة البناء في جسم الحيوان.
- الخلية وحدة البناء في جسم النبات.

إذن (الخلية وحدة البناء في جسم الكائن الحي).

- مثال:

- مجموع زوايا المثلث متساوي الساقين هو (180) درجه.
- مجموع زوايا المثلث قائم الأضلاع هو (180) درجه.
- مجموع زوايا المثلث منفرج الزاوية هو (180) درجه.

إذن (مجموع زوايا أي مثلث هو 180 درجه).

- الطريقة العلمية Scientific Method:

العلم هو المشروع الوحيد الذي يتيح للباحثين الاتفاق في وجهات نظرهم نحو موضوع ما. وذلك عن طريق اتفاقهم رغم اختلافهم وتباعدهم في الزمان والمكان، على الإجراءات التي يقومون بها أثناء دراسة ذلك الموضوع، فالعلم يتميز بمنهجية تختلف عن سائر الفعاليات الإنسانية المتبقية، فهو يتضمن مبادئ ومّسلمات، ويعالج الوقائع، ويختبر الفروض التي تربط تلك الوقائع بعضها ببعض لتصل إلى صياغة القوانين والنظريات، من خلال استخدام الملاحظة والتجربة أداة له متخذا من الرياضيات والمعادلات لغة للتعبير عن نتائجه.

فالمعرفة العلمية تتخذ من التفكير المنظم أسلوبا وطريقا للبحث، وذلك من خلال مجموعة من العمليات والمهارات العقلية التي يمتلكها الفرد والتي

اكتسبها بالتعلم ويستخدمها أثناء بحثه عن حل لمشكلة ما، أو الإجابة عن سؤال، أو للتغلب على صعوبة، والتوصل إلى نتائج لم يكن يمتلكها سابقا، علما بأنه ليس هناك مجموعة محددة من الخطوات يمكن للباحثين إتباعها دائما كما لا يوجد مسار محدد يقود إلى المعرفة العلمية، بل توجد ملامح معينه تعطي للعلم ميزته الخاصة التي يتميز بها عن باقي الفعاليات الإنسانية تتمثل في طرق التفكير وفي الأساليب التي يتبعها العلماء سعيا لاكتشاف المتغيرات في الطبيعة والإنسان والربط بينها ومحاولة تفسيرها.

فالمنهج العلمي هو الجمع بين عمليات التفكير الاستنباطي والاستقرائي والذي أدى إلى الجمع بين الفكر والملاحظة متجسدا بالاستدلال العلمي والذي يعتبر من أحدث طرق الحصول على المعرفة حيث يتصف بالدقة والصحة والثبات في النتائج، يسعى للكشف عن الحقائق من اجل فهم وتفسير الظواهر والتوقع لما يمكن أن يحدث مستقبلا مستخدما أساليب القياس والتحليل. أن المعرفة العلمية بأشكالها المختلفة تنمو وتزداد نتيجة لاستخدام الطريقة العلمية ومهارات التفكير العلمي في إجراء البحوث والتجارب العلمية وتعتبر مرحلة النضج للتفكير البشري عند تتبع سير الظواهر لتحقيق المعرفة. فقد أصبح الإنسان يجمع بين الفكر الذي يمثله الأسلوب القياسي وبين الملاحظة التي يمثلها أسلوب التفكير الاستقرائي من خلال عملية التكامل بينهما في طريقة واحدة. الطريقة العلمية هي التي ينتقل فيها الباحثون بطريقة استدلالية من ملاحظاتهم إلى الفروض ثم يستقرؤن النتائج التي يمكن الوصول إليها إذا

كانت العلاقة المفترضة صحيحة، فلـو كانـت هـذه النتـائج متفقـة مـع المعرفـة القائمة، فإننا نختبر هذه الفروض بجمع البيانات وبناء على ما نحصل عليـه مـن نتـائج نتيجـة لتحليـل تلـك البيانـات نقـوم بقبـول أو رفـض تلـك الفـروض وبناء على ذلك فإن الطريقة العلمية تقوم أولاً بالتفكير فيما يمكن أن نصل إليه مـن معلومـات لتحقـق فـيما إذا كـان الفـرض صـحيحا أم لا مـن خـلال قيامنـا بملاحظات منظمة للتحقق من صحة ذلك الفرض من خطأه.

أمـا الفـارق الأسـاسي بـين هـذه الطريقـة والتفكـير الاسـتدلالي يكمـن في استخدام الفرضيات وعليه تعد الطريقـة العلميـة طريقـة دقيقـة للبحـث عـن الحقيقة في موقف من المواقف وفي النظر إلى الأمـور نظـرة تعتمـد أساسـا عـلى العقل والبرهان والتجربة أو بالدليل وهي بـذلك تُمكـن البـاحثين مـن اكتشـاف النظام والانتظام الموجود في الظواهر والأحداث الطبيعية والاجتماعية والنفسية فضلا عن ذلك تتميز هذه الطريقة في التفكير والبحث بخصائص ومميزات نذكر منها:

1. الاعتقاد بان هناك تفسيراً طبيعيا لجميع الظواهر التي نلاحظها.
2. استخدام مفاهيم ومصطلحات محددة تتميز بالوضوح وعدم الغموض من خـلال تقـديم تعريفـات إجرائيـة تعطـي صـورة واضـحة تصـف الأحـداث والظواهر وما نقصد بها ضمن الدراسة المقررة.
3. تفترض أن العالم هو كون منظم ولا يوجد نتيجة فيه بدون سبب.

4. النتائج التي يتم الحصول عليها تتميز بالصدق والثبات وذلك من خلال قابلية الملاحظات على التكرار والحصول على النتائج ذاتها إذا ما أعيد أجراء تلك الدراسة.
5. رفض الاعتماد على مصادر الثقة والتأكيد بان النتائج لا تعتبر صحيحة ألا إذا دعمها الدليل.
6. الاعتماد على الملاحظة المباشرة مادام ذلك ممكناً أو استبدالها بالمنطق وان الأفكار والحقائق مهما كان الطريق الذي أوصلنا إليها يجب أن يخضع للاختبار والتجربة لإظهار صحتها أو بطلانها.
7. أن تكون النتائج التي نصل إليها لا تتعارض مع الدليل أو الحقائق المعروفة أو مع التجربة داخل مجال الدراسة بمعنى آخر أن تكون النتائج منطقية.
8. التحكم في العوامل والمتغيرات التي تؤثر على الظاهرة بهدف استبعاد أثرها وترك المتغير المستقل أو التجريبي كي يتمكن الباحث من دراسة أثره على المتغير التابع.

تلك هي طرق التعلم وهي متداخلة مع طرق التفكير وأنماطه كما أسلفنا وما يرافقها من تطويع للعقل لِتقّبُل المعرفة والبناء المعرفي آلا وهـــي:

مهارات وأنماط التفكير وتطويع العقل

التفكير: هو أي عملية أو نشاط يحدث في عقل الإنسان، ويحدث التفكير لأغراض متعددة منها: الفهم والاستيعاب، اتخاذ القرار، التخطيط وحل

المشكلات الحكم على الأشياء، الإحساس بالبهجة والاستمتاع، التخيل،الانغماس في أحلام اليقظة وهو ايضاً عملية واعية يقوم بها الفرد عن وعي وإدراك نتيجة تفاعله مع البيئة المحيطة، أي أن عملية التفكير تتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي.

أنماط التفكير

1. التفكير البديهي (الطبيعي): ويطلق عليه التفكير المبدئي الأول الخام حيث لا توجد فيه تجارب أو تأثيرات معينة بل يقوم على أساس التكرار، التعميم، عدم التفكير بالجزئيات بل التفكير بالعموميات، الخيال الفطري والأحلام، مُعّرض للخطأ، يحدث بشكل حر.
2. التفكير العاطفي (الوجداني) أو الهوائي: ويقصد به فهم وتفسير الأمور واتخاذ القرارات وفقاً لما يفضله الفرد ويرغبه ويألفه. ويتسم هذا النوع بالسطحية، التسرع، التبسيط، الاستيعاب الاختياري، حسم المواقف وتحليلها على طريقة ابيض واسود أو صح وخطأ.
3. التفكير المنطقي: الذي يأتي بعد التحسن بطريقة التفكير الطبيعي والصفة الأساسية لهذا التفكير انه يعتمد على التعليل لفهم واستيعاب الأشياء. والتعليل يُعَد خطوة على طريقة " القياس " للأشياء أي هناك وجود علة أو سبب لفهم الأمور.
4. التفكير الرياضي: ويشمل استخدام المعادلات والأعداد والاعتماد على القواعد والرموز والنظريات والبراهين وهذه تمثل إطاراً فكرياً يحدد العلاقة

بين الأشياء، فأن نقطة البداية تكمن في المعادلة أو الرمز التي تسهل مرور المعلومات لفكر الإنسان وفق نسق رياضي.

5. التفكير الناقد: هو قدرة الفرد على إبداء الرأي المعارض أو المؤيد في المواقف المختلفة، مع تحديد الأسباب المقنعة لكل رأي وان يدلل على رأيه ببينة مقنعة، ويتم ذلك بإخضاع المعلومات والبيانات لاختبارات عقلية ومنطقية للحصول على الأدلة والشواهد والقرائن.
6. التفكير العلمي: وهو العملية العقلية التي تتم بموجبها حل القضايا واتخاذ القرارات بطريقة علمية منظمة ومنهجية.
7. التفكير الإبداعي: هو النظر للأشياء والظواهر بطريقة غير مألوفة أو مطروحة سابقاً ثم تطويرها لتتحول إلى فكرة ⟵ تصميم ⟵ إبداع قابل للتطبيق.

تنمية مهارات التفكير

1. مهارات الأعداد النفسي: كالثقة بالنفس وقدرتها على التفكير، المرونة والانفتاح الذهني وحب التغيير، التريث في استخلاص النتائج، تجنب التناقض والغموض وسهولة التواصل مع الآخرين بأفكار مقنعة وواضحة ومفهومة.
2. مهارات الإدراك الحسي: نوجيه الحواس بشكل علمي وفكري للموضوع، الابتعاد عن الوهم والتخيلات والنظرة الواسعة باتجاهات مختلفة.

3. مهارات تطويع العقل: تحديد الغرض من التفكير، تحديد نمط التفكير الملائم للمواقف ومراحل التفكير، الاستعداد لتغيير نمط التفكير إذا لزم الأمر.

قبعات التفكير الست SIX THINKING HATS

هذه الفكرة تعتبر من أهم واحدث طرق التفكير وتنمية الإبداع في تحسين التفكير الإبداعي وتساعد قبعات التفكير الست على منح عملية التفكير قدرها من الوقت والجهد. وترتكز العملية الإبداعية على أمر هام وهو نمط التفكير عند الإنسان وأسلوب تعامله العقلي والفكري مع مجريات الأحداث المختلفة.

رائد فكرة القبعات الست هو الطبيب ادوارد دي بونو الذي استفاد من معلوماته الطبية عن المخ في تحليل أنماط التفكير عند الإنسان حتى ابتكر طريقة القبعات الست. ثم أصبح من أشهر الأسماء في العالم في مجال التفكير وتحليله وأنماطه، وطريقته هذه تُدرس الآن في المناهج الدراسية في العديد من الدول واخترع عدة نظريات ومن أشهرها التفكير الجانبي والمداليات الست.

ادوارد دي بونو: هو طبيب وعالم نفسي مالطي الجنسية من مواليد 1933 احترف في مجال التفكير الإبداعي وهذا المصطلح هو الذي ابتدعه ويعمل حالياً مستشاراً في العديد من الشركات العالمية مثل كوكوكولا الأمريكية، اريكسون السويدية، نوكيا الفنلندية، سيمنس الألمانية.

كيف نشأ مصطلح قبعات التفكير وما المقصود به؟ لمعت فكرة قبعات التفكير فيذهن دي بونو أثناء سفره من بريطانيا إلى ماليزيا وقارن بين طريق تفكير الغرب التي تعتمد على الفلسفة السفسطائيةsophistry القائمة على الجدل والحوار والمناقشة، وطريقة تفكير الشرق وخاصة اليابانيين التي تعتمد على التفكير المتوازي كما سماها هو.

الطريقة الأولى: تقوم على التفكير المتعاكس بين الأفراد المجتمعين حيث يبدي كل طرف وجهة نظره في مسألة ما ويجادل الآخر لإثبات صحة هذا الرأي وهذا يجعل الأفكار متعاكسة، أي كل فكرة تقابلها فكرة مختلفة مما يجعل الأفكار تتجاذب في أحيان كثيرة فتصبح المحصلة صفراً في النهاية وذلك وفق القانون الفيزيائي الذي اثبت أن دفع الجسم من هذه الجهة ومن الجهة المقابلة بنفس القدر يفقد الحركة فتكون النتيجة صفراً وإسقاط هذا القانون على طريقة التفكير المتعاكس أحياناً لا يؤدي إلى نتيجة مرضية، في حين كنا نعتقد إن هذا الجدال سبيل لتحقيق الموضوعية في التفكير.

أما الطريقة الثانية: التي تقوم على التفكير المتوازي التي يستخدمها اليابانيون بنجاح في إدارة اجتماعاتهم تقوم على أساس التشارك بالرأي باستخدام عدة أنماط متوازية في التفكير، فكل نمط يوازي النمط الآخر ولا يعاكسه وذلك من اجل الوصول إلى نتائج وقرارات سريعة وفعالة فعلى سبيل المثال: عدد من المدراء في شركة يناقشون إمكانية إصدار قرار لشراء شركة معروضة للبيع، في البداية يتشارك جميع الأفراد من هذه الإدارات لجمع

معلومات عن الشركة المعروضة للبيع حيث يسـلك الجميـع خـط عمـل موحـد الأهداف والطريقة، ثم يفكر الجميع في الايجابيات والمميزات التي ممكن جنيها من عملية الشراء، ثم التفكير الموحد بالسلبيات، وهكذا تتحقق طريقة التفكـير المتوازي الذي يمنع حدوث التصادم بين الآراء المتعاكسة، وتعـدد أنمـاط التفكـير المتوازي قادت إلى فكرة قبعات التفكير.

خصائص قبعات التفكير

يذكر ادوارد دي بونو في كتابه serious creativity 1992 إن التفكـير لـه أنماط سته نُعبر عنها بقبعاتٍ ست وكل قبعة لها لون يميز هـذا الـنمط وعنـدما تتحدث أو تناقش أو تفكر فأنت تستعمل نمطاً من هذه الأنماط أي تلبس قبعة من لون معين وعندما يغير المتحدث أو المناقش نمطه فهو يبدل قبعتـه، وهـذه المهارة يمكن تعلمها والتدريب عليها.

إن متعة وفاعلية التفكير لا يتحققان من التـداخلات التـي قـد تسـبب في التشويش الفكـري الـذي يعيـق الوصـول إلى قـرار أفضـل، فـالتفكير البنـاء هـو الوسيلة المثلى لتحقيق فكر غير مشوش آو متداخل حيث يقـوم الفـرد بـالتركيز على نوع واحد من التفكير والتأكد من إعطاء الانتباه الكافي لكل الأمور. فتبديل هذه القبعات وممارسة كل نمط من التفكير يساعد الكانسان على ترتيب أفكاره بطريقة أكثر تنظيماً وبشكل متوازٍ ليكفل له الوصول إلى الحل الأفضل للمشكلة واتخاذ القرار السليم.

إضافة إن هذه القبعات التي نتحدث عنها هـي قبعـات ليسـت حقيقيـة وإنما قبعات نفسية أي أن أحداً لم يلبس أي قبعة حقيقية، وحيـنما نتحـول مـن نوع التفكير إلى آخر عن اتفاق وقصد عندها يكون في موقف الناقد دوماً (وهو تفكير القبعة السوداء) في موقف ضعيف ما لم يغير طريقتـه المضـادة ويتوقـف عن الهجوم على الآخرين.

ما الهدف الأساسي من استخدام قبعات التفكير؟ هو لتحقيق عدة أغراض هامة منها: الابتعاد عن التحيز وتحقيق الموضوعية والمصداقية والعدالة، توضيح الأفكار والوعي لها أكثر، تحقيق التنوع والاتزان بـالتفكير، توجيـه التفكـير نحـو أفكار جديدة ومبدع.

أنواع وألوان القبعات وأنماط التفكير

1. القبعة البيضاء وترمـز إلى التفكـير الحيـادي: هـذا التفكـير قـائم عـلى أساس التساؤل والموضوعية للحصول على الحقائق والأرقام كأن نقـول لـدينا 55 طالباً في الفصل الدراسي 30 ولد و25 بنـات، وتركـز وتهـتم بتحديـد المعلومـات المطلوبة التي يحتاجهـا البحـث ومـاذا نحتـاج، وتحـدد أنـواع الأسـئلة الواجـب طرحها، وتوجيه الانتباه على المعلومات المفقودة أو المتوفرة.

2.القبعة الحمراء وترمز إلى التفكير العاطفي: هذا التفكـير قـائم عـلى مـا يكمن في العمق من عواطف ومشاعر وكذلك على الحدس. ولا نعرف لماذا نريد الأشياء ولمـاذا لا تعجبنـا احيانـاً، ودائمـاً تحـدد وتضـع المشـاعر للأمـام، وتحـدد المشاعر الغريزية حول كل حالة.

3. القبعة السوداء وترمز إلى التفكير السلبي: هذا التفكير قائم على السلبية والنقد والتشاؤم وانه دائم في خط سلبي واحد في تصوره للمستقبل والماضي كقلة عدد الموارد المتاحة لدينا مثلاً. وتمنعنا من الإقدام على أي شيء لأنه قد يؤذينا، إلا أنها أحياناً قد تقينا من الوقوع في المشاكل وتنبئنا بالمخاطر والصعوبات التي قد تحدث، لهذا من الأفضل تحديد استعمالها جهد الإمكان لأنها تُقيد وتُحدد الشروع بالبحث.

4. القبعة الصفراء وترمز إلى التفكير الايجابي: هذا التفكير خليط من التفاؤل والرغبة وطرح الحلول البديلة في رؤية الأشياء والحصول على المنافع، وتوجّه الجهود لإيجاد القيمة والفائدة من الاقتراحات ومن المستفيد، وتقرر كمية ونوع الفائدة للمقترح أو الحالة المدروسة.

5.القبعة الخضراء وترمز إلى التفكير الإبداعي: تركز على الإبداع والابتكار وانه النمو والتغيير والخروج من الأفكار القديمة والتأكيد على كل ما هو جديد، وتعطينا الطاقة للعمل والاحتمالات الممكنة، وتحفز الآخرين لبذل الجهود للفعل الخلاق المبدع.

6.القبعة الزرقاء وترمز إلى الشمولية والمُوجّه: وإنها تركز على النظرة العامة وتستخدم في بداية المناقشات فعلى سبيل المثال لدينا الآن أربعة اقتراحات وما هي الخطوة القادمة؟ والسبب في اختيار اللون الأزرق هو أن السماء زرقاء وهي تغطي كل شيء وتشمل تحتها كل شيء، وان اللون الأزرق

يوحي بالإحاطة والقوة كالبحر، إن عمل تفكير القبعة الزرقاء يشبه مخرج المسرحية أي انه يقرر ادوار الممثلين والمناسب لكل منهما.

ان دي بونو يفرق بين المفكر الجيد والمفكر غير الجيد والفرق عنده هو في القدرة على التركيز فهناك التركيز بالمعنى الواسع العام وليس هذا هو التفكير الجيد، وإنما التفكير الجيد هو القدرة على توجيه التفكير بشكل محدد نحو المسألة المطروحة للبحث والوصول إلى أحسن الأجوبة والنتائج إذن انه يعتقد أن القبعة الزرقاء توحي بالتفكير المنظم والمُوجه.

ما أهمية استخدام قبعات التفكير

يمكن استخدام طريقة عمل قبعات التفكير في مجالات عديدة في الحياة سواءً في التعليم أو الإعلام والقضاء والأسرة والعلاقات الاجتماعية وكذلك في مجالات الأعمال جميعها واتخاذ القرارات... ففي التعليم مثلاً يمكن للمعلم أن يُعلم الطلاب مهارات التفكير من خلال لعبة القبعات، فعندما يعرفون عمل كل قبعة سيحفزهم ذلك على التفكير بعمق في كل نمط من الأنماط الست وان استخدام اللعب في التعليم يدفع الطالب إلى التركيز أكثر على المعلومة فيستفيد منها بشكل اكبر وممتع.

واستخدام القبعات في مجال الإعلام يحقق الموضوعية والمصداقية وهما شرطان أساسيان لأية مادة إعلامية ناجحة. فالمشاهد أو القاريء لن يقتنع عندما يقرأ مقالاً صحفياً لا يتضمن إلا ايجابيات الظاهرة المدروسة التي يتحدث

عنها أو سلبيات فقط أو لا يتضمن أرقاماً ومعطيات معينة ووثائق توضح هـذه الظاهرة وكذلك حلولاً مبدعة لها.

سيكولوجية الألوان وتأثيرها على شخصية الإنسان

إن للألوان جاذبيتها وتأثيرها على شخصية الإنسان والتي شكلت على مـر التأريخ مادة للتأمل والتفكـير والتـدبير في صـفحات الكـون والوجـود، وشـكلت الألوان مادة هامة عند الإنسان عندما عرفها وميزها من خلال عيون الحيوانـات المختلفة والطبيعة من أشجار وبحارٍ ومحيطاتٍ وانهارٍ. ثم أصبحت الألوان لغـة الاتصـال بكافـة معانيهـا وطرقهـا في الحداثـة والابتكـار والبنيـان وهندسـة الحضارات، ومؤخراً ظهرت اهتمامات من خبراء التفكير وتحفيـز الـدماغ والـذي تربع على عرشها دي بونو في تجربته قي قبعات التفكير الـذي قسـمها إلى سـتة ألوان وتتضمن كل لون نمطاً خاصاً في التفكير كما ذكرت.

انبثقت دراسات وبحوث في عوالم الألوان والتي قسمت الألوان إلى ألـوان دافئة كالأحمر والبرتقالي والصفر والتي تشير إلى معاني نشـوة الفـرح والانطـلاق وتأجيج الشهوة بكافة أبعادها وإثـارة النزعـات الجسـدية، أمـا الألـوان البـاردة كـالأزرق والأخضر والبنفسـجي والتـي تشـير إلى انعكاسـات الهـدوء والطبيعـة المتأملة التي تثير الصفاء وطلاقة التعبير.

إن البعد السيكولوجي والتحليلي للألـوان والخـط وانعكاسـاتها في الـذات الإنسانية التي تعطينا تصور وانعكاسات عن مكنونـات الـذات البشريـة فـاللون الأخضر يشكل مساحة واسعة للتعبير عن الذات ويثير قريحـة الإلهـام والتعبـير

عند التدوين بالقلم الأخضر أو تسطير الكلمات على صفحات خضراء. وهناك انعكاسات نارية للألوان مثل البرتقالي الذي يثير الإنسان نحو الرغبة بتناول الطعام الذي تستخدمه بعض المطاعم والمقاهي ومحلات المرطبات للإثارة الشهية عند رواد المطعم ويؤجج رغبتهم في تناول الطعام والإقبال عليه مستشعرين لذة الطعام بين يديهم.

من هنا يعد الخط إحدى انعكاسات الشخصية وأنماطها وكما في الفن التشكيلي ولغة التعبير حيث من خلالها يمكننا أن نحدد الأنماط الشخصية للأفراد كالمدرسة الألمانية (التعبيرية) في الفن التشكيلي التي تركز على التعبير عن المشاعر والعواطف والحالات الذهنية التي تثيرها الأشياء أو الأحداث عن طريق تكثيف الألوان وتشويه الأشكال والمغايرات المثيرة، والمدرسة الفرنسية (الانطباعية) التي تعتمد على نقل الواقع أو الحدث من الطبيعة مباشرة كما تراها العين المجردة حيث نفذ فنانوا هذه المدرسة أعمالهم في الهواء الطلق مما دعاهم إلى الإسراع في تنفيذ العمل الفني قبل تغير موضع الشمس في السماء وانطباعات لون شروق الشمس على الطبيعة والبحار وتبدّل للظل والنور وسميت بهذا الاسم لأنها تنقل انطباعات الفنان المرئية عن المنظر المُشاهد، فالرسوم والخطوط ولغة الجسد والمشاعر والأفكار تعكس إسقاطات الشخصية التي يكشفها الجسد في لغة حراك أعضائه، فالخط، التوقيع، الفن التشكيلي، الصور الفوتوغرافية هي من إحدى الطرق لكشف ومعرفة الشخصية.

ما هي المعرفة الاجتماعية

هي التي تمثل استجابة للعلاقات الاجتماعية التي يقيمها الفرد للمثيرات التي يواجهها في حياته العامة والخاصة والتي تحثه على إنماء اهـو إضعاف أو قطع أو إقامة علاقة اجتماعية مع فرد أو جماعة معينة. وكذلك هي نتيجة ثمار عقلية منتجة من خلال العلاقة الحاصلة بين العقل والأدوار والعلاقات الاجتماعية والأحاسيس عند استجابته للمنبهات والمثيرات والتحديات التي أوجدتها المواقف والمشكلات الاجتماعية في مواجهة الفرد لها وتتطلب منه التعامل معها بإيجابية حتى يستطيع حلها أو تجاوزها عبر مسيرته في الحياة الاجتماعية.

وبناءً على ما تقدم فأن الفرد كلما زادت علاقاته الاجتماعية كماً ونوعاً زادت تباعاً ممارساته للأدوار الاجتماعية والتي بدورها تنمي أحاسيس الفرد السمعية والبصرية والتمييز ما هو حقيقي وزائف مما تمكنه معرفته بنماذج شخصيات الأفراد الذي يلتقي بهم أو يبتعد عنهم.

علم اجتماع المعرفة

هو الحقل آو المجال الذي يدرس الظروف المحيطة بالعناصر الاجتماعية للفكر وهي: نشاط عقلي ← نشاط إنساني← نشاط سلوكي.

هو يدرس الحقيقة الفطرية، التفكير العقلاني والأحداث العقلانية.

هو قريب من علم اجتماع الأدب، الفن، النظريات الاجتماعية، النظريات الثقافية الاجتماعية.

هو يبتعد عن دراسة السلوكيات، الانحرافات، الهوايات فأن هذه من اختصاص علم النفس.

وهو يهتم بالمنتج الثقافي للإنسان كالأفكار، العقائد، المعتقدات، المبادئ الأخلاقية، الفلسفة،العلم والتكنولوجيا.

وهو يهتم بالعقل البشري وفي كيفية تفكيره، معتقداته، ابتكاره، إبداعه.

وهو يهتم بالمشكلات الفكرية ذات العمق التاريخي بالمجتمع مثل المعتقدات الطائفية الدينية والإقليمية الجغرافية.

وهو يهتم بالمواضيع العاطفية الوجدانية والأحاسيس لأنها المناخ الرطب الذي يلطف جفاف التفكير العقلي.

وظهرت تلك الاهتمامات في أوروبا في بداية القرن العشرين ثم انتقلت إلى أمريكا.

مكونات البناء المعرفي

- نسق المعرفة الأسطورية.
- نسق المعرفة السحرية.
- نسق المعرفة الدينية.
- نسق المعرفة العلمية.

المعرفة الأسطورية:

يعني هذا النسق التصورات الخارقة التي استطاع الإنسان البـدائي رسـمها وتخيلها عن ظواهر الحياة وإيقاعات النظام الكـوني وعـلى شـكل رمـوز وكانـت هذه بداية معرفته الاجتماعية.

وقد بحث ودرس وحلـل علـماء الاجـتماع والمعرفـة الاجتماعيـة وخرجـوا بنتيجة مفادها أن الأساطير القديمة عبارة عن أحداث تاريخية حقيقية وفيها أن الآلهة لم تكن بالأصل سوى كائنات إنسانية أثبتت امتيازها لدى الناس البسـطاء فما كان منهم إلا أن عبـدوها وقدسـوها بعـد مماتهـا. ويـرى الـبعض الآخـر إن الأسطورة ترتبط بالمناسك والشعائر وبأسلوب التقديس والتأليه خوفاً أو جهـلاً أما علماء النفس فقد رأوا أن الأساطير القديمة عبارة عن ذخائر ذات طـابع أولي بدائي تكشف العقل الباطني الجماعي للإنسان. ومن هنا أتى الخيـال الخـارق في المعرفة الذي عُدَ أول مرحلة من مراحل المعرفـة عنـد الإنسـان فالأسـطورة إذن وسيلة معرفية أولية على شكل رموز خيالية تحمل صفة القدسية اعتمدها لـكي يعرف كوامن وغوامض الحياة الكونية.

المعرفة السحرية:

يتجه نسق المعرفة السحرية نحو عالم الأفلاك والكواكب والشياطين آخذاً بأسلوب التعظيم والخضـوع والتـذليل للمُقـدس هدفـه كشـف أسرار الظـواهر الطبيعية منطلقاً من الخرافات واللعنة والمباركة والترنيم.

لما نشأت قوى التعليل والاستدلال والاستنتاج والتحليل عند الإنسان الأول بدأ يرغب بفهم أسباب الظواهر الطبيعية التـي حولـه ومـما يدهشـه ويعجبـه وحاول أن يجد لكل علة سبباً فتوصل لبعض الحقائق وبقت الكثير منها عصـية عليه لجهلـه بـدواخل تلـك الحقـائق لأنهـا لم تصـل إلى حواسـه ولم يجمـع مـن الاختبارات ما يكفي لاستخراج الحقائق ولذلك جمع الإنسان الأول بين مختلـف تعليلاته الأوهام والخرافات والشـعوذة ومحاولـة العلـم بالغيـب والحكـم عـلى المستقبل والتي كانت مقدمة لعقائده الدينية.

فكر الإنسان بأنه عن طريق الخرافة تنشأ محاولة السيطرة على الطبيعـة عندها بدأ تأثير السحر والعرْافة عـلى الـروح الشريـرة ومـن ثـم السـيطرة عـلى الجن.

والخرافة شائعة عند جميع القبائل البدائية وحتـى عنـد بعـض الشـعوب التي لها نصيب مـن التمـدن والى يومنـا هـذا، وشـيوعها مهـد السـبيل للعرافـة والسحر والشعوذة حتى كان لها شأن عظيم لدى بعضها ففي القبائـل البدائيـة على الأغلب أن يكون الساحر كاهناً، طبيبـاً و لا يسـتبعد أن يكـون زعـيماً في بعض الأحيان.

فكان الإنسان يتصور أن جميع تلك الخرافات والأوهام هو بوجود قوى غـير منظورة و أرواحاً وراء الأشباح التي يرونها أو يحسـون بهـا. فكـل مـا يـدور حولـه من الطبيعة يثير دهشـته ويـدعوه للعجـب مـثلاً النبتـة تنمـو مـن ذاتهـا وتـدل

على أن هناك قوى بداخلها، ظهور الشمس صباحاً وتغرب مساءً، الطيف الـذي يزور النائم في الحلم يدل على وجود روح له تنفصل عن الجسد.

إذن فالسحر: هو عبارة عن فنْ مهاداة الجـن والشـياطين وطلـب عـونهم على أداء الأعمال العجيبة الخارقة للطبيعة وأحياناً أخرى محاربة الجن وإفساد ما قاموا به من أعمال خبيثة.

وهناك حالة تظهر في المجتمعات الحديثة وهي أن الإنسان الحـديث وان كان قد بلـغ مـن الشـأن الكبـير مـن العلـم والحضـارة إلا انـه يحـن شـوقاً إلى المجهول الخفي طالباً العون منه كلما ضاقت به الأمور أو سبل العيش وخاصـة لدى بعض الناس ممن تأصـلت وقويـت بنفسـيتهم العاطفـة الدينيـة فيلجـأ في وقت الشدة إلى القوى العليا التي يعمل على استرضـائها بالصـلوات والابتهـالات وغيرها من الطقوس والشعائر الدينيـة عسى أن يجـد عـن طريقهـا الفـرج بعـد الشدة.

فالمعرفة السحرية لا تعتمد على مبادئ عقلية ومنطقيـة بـل عـلى معـاني الظواهر الطبيعيـة بشـكل فطـري وعفـوي. فيكـون عـالِمْ المعرفـة هـو السـاحر ومتلقي المعرفة السحرية أفراد المجتمع.

أخيراً النسق الأسطوري يعبر عن معرفة الإله وعبادته أما النسق السـحري يعبر عن معرفة الأفلاك والكواكب والشياطين.

المعرفة الدينية:

يهدف هذا النسق إلى معرفة أسرار الكون الـذي دفـع النـاس إلى التـدين لكي يدافعوا عن أنفسهم من الضرر وجلب الخير لهم وذلك لعجزهم عن معرفة أسرار الكون وايماناً منهم بوجود قوى أقوى منهم ولها صلة وثيقة بهم.

فالمجتمعـات البدائيـة قسـمت المعتقـدات إلى مجمـوعتين هـما الحـرام والحلال فالحرام ما لا يجوز مسه أو التقـرب منـهُ أو أكلـه فأعتقـد الإنسـان إذا خالف هذا التحريم يعاقب عليه عقاباً غيبياً، فـالأقوام القديمـة والحاليـة عـلى اختلاف أوضاعها وأحكامها ترى أن للدين أوامره يمنع بعضها ويأمر ببعضها.

تأريخيـاً إن جميـع الأقـوام عاشـوا وتـدينوا بـدين وطقـوس معينـة فالسومريون عبدوا (انو انليل) والبابليون (بعل وعشـتار) والاشـوريون (آشـور) وغيرهم من المصريين، الفينيقيون، اليونانيون،الرومان، الفرس، الصينيون. فكانت معظم ديناتهم عبارة عن مجموعة مبادئ غيبية ناتجـة عـن عـادات اجتماعيـة مارسوها ولأجيال طويلة أولهما الشعور بـالخير والشر ثـم فكـرة وجـود الخـالق العادل يعاقب على الأخطاء ويكافىء على الحسنات والفضائل.

تعريف الدين

هو الذي يمثل الاعتقاد بوجود كائن لا يدركه العقل موجود في كل مكـان وزمان، وهو شعور الناس بوجود قوة وقوى متعددة أعظـم مـنهم شـأناً وقـوة. من خلال ذلك نشأت علاقـة الـبشر بالمقدسـات والقـوى الكـبرى وتظهـر هـذه

العلاقـة بأحاسـيس ومعتقـدات خاصـة مثـل الرجـاء، الخـوف، تقـديم قـرابين وطقوس أخرى كالصلاة وغيرها.

أصل الدين في البشرية

تناولت عدة نظريات عن أصول الدين ونشأته في كل مجتمع ففي البـدء كان عبارة عن مجموعة مبادئ غيبيـة منبثقـة مـن عـادات وأعـراف اجتماعيـة مارسها الأفراد لأجيال طويلة. ومن تلك النظريات هي:

- النظرية الروحية: التي تؤكد بأن لجميع الكائنات روحاً وان هذه الروح تتمكن من الاستمرار بعد الموت أي بعد تحلل الجسد.

- نظرية التأليه والطوطمية: التي جعلت من احد الموجودات كـأن يكـون حيواناً، نباتاً، جماداً وتتخذه شعاراً مقدساً لها واجتمعت حوله واهتمـت بـه وكان لهـذا التأليـه قـوة خفيـة غـير معروفـة الأسـم مدعومـة مـن قبـل الأفـراد والعشيرة التي تشترك جميعها بتكوينها ولذلك تبقى مستمرة ودائمة وخالـدة لا يلحقها تغيير مهما تعاقبت الأجيال والقرون.

ما هي الطوطمية

هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمـد عـلى العلاقـة بـين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، وهو أي كيان يمثل دور الرمز للقبيلة واحياناً يقدس باعتباره المؤسس أو الحامي.

والطوطم يمكن أن يكون طائر، حيوان، نبات، وهو ظاهرة طبيعية والذي تعتقد به الجماعة وترتبط بـه ارتباطـاً روحيـاً. وهـو رفيـق مسـاعد مـع الأرواح الخارقـة وهـو مُقـدس وتعتـبره الجماعـات كهديـة لهـا حيـث يُحـرّم لمسـه أو تحطيمه. وقد تعود أصوله إلى احد الأجداد الأوائل مثل طبيـب، سـاحر القبيلـة والمكلف بتنظيم وتنمية العلاقة بين الأفراد والطوطم.

كلمة طوطم مشتقة من لغة الابجوا الأمريكية الأصلية TOTEM

والطوطميـة منـتشرة في كـل مـن ماليزيـا، غينيـا، أفريقيـا وبـين السـكان الأصليين من الأمريكيين والاستراليين(الابوروجنيز).

وقد شكك بعض العلماء بوجود الطوطمية أما البعض الآخر اعتبرها بداية أولية لديانة أو ثقافة والتي ضمت اعتقادات منها الإيمان بوجـود أرواح وبعـض الانثروبولوجيين(هو علم الإنسان الذي يدرس أصـول النـوع الإنسـاني والظـواهر المتعلقة به وينقسم إلى نوعين رئيسيين من الدراسـة هـما الطبيعيـة والثقافيـة) اعتقدوا أن ظاهرة عدم تدمير الطوطم قد انسحبت على كل الطبيعة.

والطوطميـة كانـت موجـودة عنـد عـرب الجاهليـة إذ كـان لكـل(قبيلـة ومجموعة) صنم بهيئة حيوان أو جزء من شكل إنسان.

الفرق بين السحر والدين

الدين يؤمن بالقربان والصلاة، بينما السحر مجرد عمليات آلية.

الدين يدعو إلى جمع شمل المؤمنين وطابعـه اجتماعـي ويـرفض الغايـات الفردية والأنانية بينما، السحر يغلب عليه الطابع الفردي.

ومع تطور الإنسان تطورت معرفته الدينية إذ بدأت بعبادة الأرواح مـارة بالطوطم والطبيعـة وصـولاً إلى التوحيـد والأديـان السـماوية ودوافـع الإنسـان الأولى هي لمعرفته إسرار الحياة والكون من ثم التعبير عن ذلك بالخوف والإلمام ولإثبات وجوده في الحياة.

النرجسية الدينية

هناك أسئلة عديدة بحاجة إلى إيضاحات، لماذا تتقدم معظـم البلـدان إلى الأمام فيما نتقدم نحن العرب والمسلمين بخطى حثيثة إلى الوراء؟ لماذا نحن من أكثر البلدان غنى بالموارد الطبيعية كالنفط والغاز والماء؟ لماذا تتضاعف معـارف الإنسانية بفضل ثورة الاتصالات بينما يتضاعف جهلنا وشـللنا الـذهني وجبننـا الفكري بسبب التيارات الدينية المتطرفة التي تحلـل وتحـرم حسـب نرجسـيتها ومصالحها؟ لماذا تثير كلمات التسـامح، الاعتـدال، العقلانيـة، الواقعيـة، التنـازل، التفاوض خوفنا ورهابنا منها؟ بينما يرقص الجميع رقصة الحرب النارية الثأرية؟ لماذا العديد من زعماء العرب مـلأوا دولهـم وشـعوبهم المقـابر الجماعيـة وآذان العرب بالتصريحات العنترية؟ ولماذا يحـب النـاس الحيـاة ونحـن نحـب المـوت العنيف كالنحر والانتحار ونسميه استشهاد؟ وببساطة الإجابة على تلك الإجابـة عائد جزء كبير منه إلى مزيج متناقض من الجرح النرجسي والنرجسية الدينية.

ما الجرح النرجسي؟ هو الإحباط الذي يجعل ضحيته يحتقر نفسـه ويتخيـل المرء نفسـه انـه لاشيء ويجعـل الشـعور بالعـار والدونيـة وحالتنـا العربيـة دائمـاً

كذلك. فكل الشعوب وأمم عديدة قد اكتوت بـالجرح الـنرجسي والمِحـنْ لكنهـا استعادت حالها وثقتها بنفسها ولم تسقط في الإحباط والاكتئاب الدائم التي من شأنها أن تجعلهم يفكرون بالثأر. فمثلاً هـزائم العـرب أمـام الاسـتعمار الأوروبي وإسرائيل سيطرت على شعورهم وكيانهم مـما شـكلتْ لـديهم جـروح نرجسـية كإذلال قومي لا يغسل عاره إلا الدم والثـأر والنـار كـما تؤكـده شـعار الحركـات القومية والدينية المتطرفة.

ما النرجسية الدينية؟ هو الوهم الذي يجعل المؤمن بدين ما، يؤمن إيمان مُرَددْ ومُجترْ لا يفهم معانيها وغاياتها كقول اليهود شعب الـلــه المختـار وقـول المسلمين أنهم خير امة أخرجت للناس.

فالنرجسية الدينية عندنا مازالت قوية وبدائية ونردد ونعتقـد بمعتقـدات قديمة بالية لا نعرف مغزاها بسبب تحالف الإعلام الديني التقليدي مع التعليم الديني التقليدي على مكافحة الروح العلمية المتطورة المسـتندة عـلى الاسـتقراء والاستنتاجات والبراهين.

نرجسيتنا الدينية تقول لنا بأن ديننا هو مركز الديانات وأماكننـا المقدسـة هي مركز الكون وامتنا مركز الأمم أي خـير امـة أخرجـت للنـاس، لكـن هزائمنـا المتكررة، وجروحنا النرجسية النازفة تقول لنا بأننا آخر أمة بين الناس، مـن هـذا الخطاب المتناقض جاءت لنا نحن العرب بالكثير من عللنا النفسية والاجتماعيـة المعرفية والسياسية وأزمة الهوية، من نحن؟ هل نحن خير أمة أخرجـت للنـاس أم آخر أمة بين الأمم، هنا دور الإعـلام والتعلـيم الـديني الـذي أعطـى الوصـفة

السهلة السحرية التي تطلقها الأحزاب والحركات والفتاوى الدينية: هو أننا قد تخلينا عن اللـه وديننا فلنبدأ رحلة العودة إليه على ظهر حزام ناسف ينسف أول ما ينسف أملنا في مستقبل أفضل.

نرجيسيتنا الدينية المتحالفة مع جرحنا النرجسي وبتأجيج ودعم من صغار وكبار رجال الدين المخضرمين والجدد الذين ظهروا مع التيار الديني المسّيس المتطرف جعلت الفكر السحري سائداً بما هو كنْ فيكون وقدرة الإرادة على خرق قوانين الطبيعة والعلم والمنطق مما أدى إلى ترك المجال فسيحاً للهذيان السياسي الديني والاستخفاف بموازين القوى في الصراعات العسكرية والسياسية والاتكال على الغيبيات والميتافيزيقيات لذلك تعتبر الجهادية الإسلامية جريمة بحق الأمة الإسلامية، وكل الانتصارات التأريخية التي حققها المسلمين بحروبهم الأولى يعزوها لأنهم كانوا قلة.

الجرح النرجسي والنرجسية الدينية جعلا كثير من المسلمين ذوي مزاج متقلب فالجرح النرجسي يقنعهم بهوانهم ويلقي بهم في حداد اكتئابي عضال ونرجسيتهم الدينية تقنعهم بالعكس بأنهم سرة الكون والوجود وان جهادهم ماضي إلى قيام الساعة وان إرادتهم أقوى من موازين القوة فمثلاً نتذكر صدام حسين عندما قال ل(CNN) عشية حرب تحرير الكويت :قال سأنتصر على بوش فأن اللـه معي وسيهزم بوش لأن الشيطان معه. فهذا مثال لغياب الواقعية والعقلانية ونقص المعرفة لدى الكثير من صانعي القرار السياسي والعسكري في العالم العربي.

الدين وبناء مجتمع المعرفة

من جملة التغييرات التي طرأت على الدول العربية في الجوانب الثقافية والمعرفية ومن بينها الدين. فظهرت تحالفات علنية بعد أن كانت في السابق مخفية وغائبة عن المواطن العربي بين الأنظمة الحاكمة وعلماء الدين ورجالاته ليمارس هؤلاء كل ما من شأنه خدمة النظام السياسي والعمل في إطار محابات الأحزاب والتيارات السياسية، متخذة من الإسلام غطاءً لها لتعود بالإساءة للدين وللمجتمع، بسبب ما ينتج عنها من انقسامات وفرقة التي تتناقض مع ما يتطلبه بناء مجتمع المعرفة.

وبعد أن تم ضم المؤسسة الدينية إلى مؤسسات السلطة السياسية لكسب تأييدها ظهر ما يسمى تأليه السلطة والحاكم وتقديسها ثم عملوا علماء الدين على مناصرة النظام والدفاع عن ممارساته بعد أن تم استيعاب احدهما للآخر للمصالح المشتركة فيما بينهم وضَمَنَ النظام ولاء رجال الدين له من خلال وضع المبررات والمحاباة لسياساته.

من هنا فقد أصبح الخطاب الديني يتسم بالتهديد والوعيد أكثر من دعوته إلى العقيدة المُركِزة على التفكير والإقناع ثم انتهت الأمور إلى حق وباطل حلال وحرام الأمر الذي يصب في ثقافة المتسلط والتبعية التي لا تسمح بالمرونة بل إلى مقاومة ملَكَة التفكير عند الإنسان ليصبح كل ما هو خارج خط السلطة ورجاله من علماء الدين كفراً.

فالحل هو على نخب وصانعي القرار السياسي العربي وتحت ضغط الدبلوماسية الدولية والإعلام العالمي والمجتمع المدني أن تتخلص من جبنها المزدوج السياسي والفكري وإعادة هيكلة التعليم والإعلام الدينيين، ومكافحة عقدة الدونية الاكتئابية وتعزيز شعور ولاشعور الأجيال الصاعدة كي تتخلص من نرجيسيتها الدينية التي تخلصت منها شعوب العالم الأخرى وان تعتبر دينها واحداً من بين الأديان في العالم وانه كجميع الأديان قابلاً للدرس والتحليل العلمي والقراءة التاريخية وإخضاعه لسياقات الزمان والمكان التي لا يستطيع أي دين أن يتجاهلها.

فلكي تدافع الدول العربية وأنظمتها عن نفسها و تحضى مجتمعاتها العربية في مواجهة الإسلام السياسي والحركات الإرهابية عليها أن تُعيد النظر بمحتويات المناهج الدينية ووضع شروط ومؤهلات علمية ولغوية وفقهية وسلوكية واجتماعية لِرَجُل الدين أي ليس كل من لَبَسَ العمامة والطربوش وغطاء الرأس وأطال لحيته هو ذلك رَجل الدين المطلوب، ولا يسمح لكل رجل دين أن يئم الجموع الذين يحضرون الجوامع والمراكز الدينية فإمامة الناس لها شروطها ومؤهلاتها واجب توفرها لدى الشيخ ورجل الدين.

بالعودة للمناهج الدينية أو دروس الدين في المدارس والجامعات هو بتغليب فكرة الرحمن الرحيم على فكرة اللـــه شديد العقاب إن صورة الإله الباطش التي يروج لها رجال الدين ومُدرّسي مادة الدين في المدارس والمراحل التي تليها حتى الآن لا ينتج إلا انساناً يخاف من الحياة وينظر إلى مباهجها

كخطايا تحاصره بإغوائها طيلة حياته. فهذه التربية تخلق إنساناً مشوهاً متنكراً لإنسانيته، ولأن هذا الإنسان لابد له أن يعيش هذه الحياة ولابد أن يتمتع بمباهجها التي قد لا تقع كلها في دائرة المباح بالرغم من مشروعيتها المدنية، فهي ليست ممنوعة بالقانون فأن شعوره دوماً هو الإحساس بالذنب أحياناً. فأن هذا الأمر قد يكون اعتيادياً ولكن إحساسه الساحق بالذنب نتيجة لهذه التربية الدينية المتشددة يضطره إلى محاولة الخلاص والتطّهر. وهذه تؤهله إلى التضحية بشرعية الدولة والمجتمع فيرتكب الجرم المضاد للدولة للخلاص من الشعور بالخطيئة وهذا واضح من سلوك الكثير من أثرياء البلدان العربية والإسلامية فهم يمولون حركات الإرهاب والإسلام السياسي اعتقاداً منهم بأنهم يجاهدون في سبيل اللـه و يسعون إلى إعلاء كلمة اللـه وتفكيرهم الدائم بالخطيئة بفعل التربية وبين أوهام الثواب والعقاب وما يمكن أن يقدموه مرضاة لله الشديد العقاب.

أن أهم ما يجب أن تفعله الأنظمة السياسية والتربوية العربية هو إحداث نقلة حقيقية في الميدان التربوي للأجيال القادمة إذا ما أرادت لشعوبنا أن تخرج من شرنقة الكراهية والعداء للعالم وتفريخ الإرهاب والتشدد والاستهتار بحياة البشر.

فالتغيير التدريجي والثابت من استبدال مناهج المؤسسات الدينية بمناهج جديدة عن طريق استعمال الأدوات المعرفية الحديثة وما وصلت إليه العلوم الإنسانية من طرائق البحث لتطبيقها على كافة المجالات.

فمثلاً شيوخنا ورجال الدين اليوم في كافة أنحاء العالم العربي بحاجة إلى بعثات استطلاعية يزورون فيها الغرب على شكل زيارات بحثية دراسية ولا يكفي أن يزوروها زيارت صيفية ترفيهية أو علاجية وغيرها. وان يذهبوا إلى الغرب دون موافقة مسبقة وان لا يفكروا أن انهيار الحضارة الغربية قريب، وان يزوروا الغرب بعقل منفتح قابل للجدل والاختلاف، فهم الآخر فهماً صحيحاً وهذا لن يتم إلا بتغيير المواقف السابقة وتغيير العقل النمطي السائد، وتهيئة الذهنية اللازمة للتقبل، وان يزوروا المعاهد والمكتبات والمؤسسات البحثية ومختبراتها وان يلتقوا بالسياسيين والمثقفين والمفكرين والأدباء والشعراء والأكاديميين والمؤرخين والباحثين والدارسين وان يسألوا وينصتوا كثيراً وان يتأملوا بصدق في تجارب الأخريين وان لا يلتفتوا إلى تموضع المرأة في المجتمع العربي وان لا يُقّيم الغرب من خلال حرية المرأة والديمقراطية والعولمة فقط بل عليهم أن يحللوا القيم الراسخة للحضارة الغربية وان يحرروا ذواتهم من كل ما يعيقها عن إدراك الحقيقة.

فلو تحققت هذه الأحلام فسوف نشفى من أمراض كثيرة وسوف تصبح وجوهنا أكثر إضاءةً وقلوبنا أكثر صفاءً وعقولنا اكبر اتساعاً وإدراكاً وأحكامنا اقل ظلماً وأكثر إنصافاً.

تلك هي الأسباب التي تستوجب من الجميع أن لا يرفع شعار الإسلام لولاية مِلة من المِللْ، لأنها سِتار تحاك خلفه أبشع الممارسات والخطط وتختبأ خلفه أقبح النوايا. فكم من شخص تَسَتّر خلف التُقى والورع وارتكب اشد

الموبقات ولم ينتبه له احد لأنه كان متسربلاً(السربال هو القميص أو الدرع والفعل تسربل:لَبِسَه) بثياب التقوى والورع وعلى الذين يدّعون التدين والتقوى أن يثبتوا ذلك بأي دليل غير لسانهم وجبتهم ولحيتهم.

فنحن بحاجة إلى ثورة داخل المؤسسات الدينية لا بل داخل الإسلام كما قامت به الديانات الأخرى. إلى أن يتحول الدين إلى إطار ثقافي عام أي ليس بالضرورة أن يكون ديناً رسمياً للدولة لوجود طوائف وديانات آخرى بيننا، وقضية الإسلام دينٌ ودولة غير ممكنة لأن السياسة تتغير والإسلام لا يتغير.إضافة إلى الابتعاد عن مقارنة المصحف بالسيف لأن المصحف هو بمثابة الدعوة لقبوله أما السيف فهو قمع وتهديد فلا اعتقد هناك وجهاً للمقارنة.

إن مفهوم الحريات وحقوق الإنسان يجب أن تركز على المواطنة والمساواة وليس على التسامح الذي أصبح بالياً باهتاً أي أنا أتسامح معك وفي الحقيقة أنا الأقوى فالإنسان يسعى إلى المساواة و لا يريد التسامح لذا يجب البدء بالثورة الداخلية احتراماً للدين نفسه.

فالتحريض والكراهية الذي يجاهرون بها رجال الدين وأصحاب الفتاوى واللحى والجُبب لكل ما هو مختلف ولكل مقتنعي الأديان الأخرى والتي امتدت لأكثر من 30 سنة هي التي عملت على تكريس مفهوم التضاد بيننا وبين المجتمعات والأديان الأخرى مما جعلت كل شعوب المنطقة العربية والإسلامية في حالة جهاد مستمر متعدد الأشكال والألوان ضد القيم والثقافات بدون حتى التفكير بما قد نستفيد من هذه القيم إضافة إلى رفضنا

لحرية التعبير، حرية التفكير، حرية الدين،حرية المرأة، واستغل فقهاء الدين وأصحاب الفتاوى المنابر وتوظيفها لكل ما هو مناقض للقيم الاجتماعية الايجابية واستمروا هؤلاء بالدعوة على الكفار في المساجد دون توصيف منه الكافر الذين هم أي الكفار هم من زودنا بالمكيف والسيارة والطائرة والتكنولوجيا وحتى المذياع الذي ينشر و يضخم صوت رجل الدين أفكاره بل حتى نكفر مخترعيها لحد تحريم استخدام تلك الاختراعات والأجهزة بما فيه المعرفة التي تفيدنا. والأدهى من ذلك اقَرْوا مناهج تعليمية تنص على تكفير كل ما هو غير عربي وإسلامي.

اعتقد أن المسؤول الحقيقي عن هذا كله هي الأنظمة العربية بشكل عام التي تقاعست عن تحقيق طموحات وأمنيات مواطنيها بالحياة الكريمة، المناهج التعليمية، القنوات الفضائية العشوائية، فقهاء الدين وأصحاب الفتاوى متخذين خطبهم وفتاواهم للشهرة والكسب المادي من خلال بيع كتبهم واستشاراتهم في المكتبات وعلى أرصفة الشوارع، والإعلام بكل أشكاله الغير مستوفي شروط الإعلام والذي يجب أن يكون مفيداً للمواطن العربي ويزوده بالمعرفة والعلوم وآخر الابتكارات، لا التركيز على المشاكل السياسية والاقتصادية والدينية كما تفعل(قناة الجزيرة) مثلاً المشاكل التي فُرِضت على المنطقة والذي جميعنا مساهمين بتعقيداتها وتأزمها لقلة الثقافة والمعرفة والجهل بدءً من منازلنا ومجتمعاتنا وعقولنا.

يجب أن نوضح ونتسائل ونبحث بصدق وجدية هل الأفكار المتطرفة والمتشددة موجودة في الدين؟؟ فالمواطن العربي والإسلامي أن يعرف الحقيقة.

بداية علينا الاعتراف بأن الأديان جميعها جاءت خدمة للإنسانية وتنظيم المجتمع، والاعتراف بالتغييرات الكبيرة التي مرت بها البشرية من الهمجية ـ البربرية ـ البدائية ـ الحضارية ومن ثم من السحر ـ الدين ـ العلم. والاهم من هذا التساؤل كيف استطاع الغرب إلى حدٍ ما أن يقتلع الأفكار الدينية المتصلبة والمتطرفة من النفسية الغربية بينما نسمع ضجيجها وأصواتها حتى في دقات ونبضات قلب الإنسان العربي القابع في الوطن الأم أو المواطن المغترب في دول الغرب ليس إخلاصاً ودفاعاً عن ما يؤمن به بل كرهه الأعمى ورفضه للأديان الأخرى.

كيف نجح الغرب في تحجيم واقتلاع العناصر السلبية في مجتمعاته

1- قام بتحييد الأديان لوأد التعصب الذي مهدَ تدريجياً للفصل التام بين الدين والدولة فتحولت منابرهم الدينية للنور والتنوير من خلال رسالة التعاطف الإنساني على أساس العناصر المشتركة بيننا كبشر. وان الرسل الدينية ما هي إلا رسلاً إلهية التي تُجَمعْ البشر وليس تُفرّقهم.

2- قامت الحكومات بتجذير فكرة المواطنة من خلال الدستور لتنظيم حياة المجتمعات الذي يكفل الحريات والمساواة بشرط سيادة القانون.

3- قامت الحكومات بترسيخ المصالح الاقتصادية المشتركة بين شعوبها وشعوب المناطق المجاورة بحيث ضمنت فكرة الأمن الاقتصادي والأمان للجميع.

4- قامت الحكومات على تقنين وتنظيم حرية التعبير التـي شـجعت عـلى نمـو وتنمية المجتمع المدني الذي يوجه الحكومات من خلال الـرأي العـام حتـى وان تلكأت به بعض الحكومات الغربية كما حدث باحتجاجـات العـالم الغـربي عـلى فكرة الحرب على العراق عام 2003 وحتى هذه اللحظـة تعمـل تلـك مـنظمات المجتمع المدني على محاسبة الحكومة الغربيـة في بريطانيـا مـثلاً عـلى المشـاركة بالحرب. إذن يبقى المجتمع المدني هـو الموجـه للسياسـات الحكوميـة الداخليـة والخارجية، وكذلك لعبوا الأثريـاء والمشـاهير مـن الفنـانين الغـربيين دواراً مهـماً ومن منطلق الإحساس بالمسؤولية والعطاء حيث نراهم وعـلى الـدوام يقومـون برصد جـزء مـن ثـرواتهم ونشـاطهم خدمـة للعمـل المـدني. وهـذا مـا لا نجـده ونلحظه من أثريائنا ومشاهيرنا وفنانينا العرب للقيام بهذا الدور.

بالمقارنة بحرية التعبير في المنطقة العربية فحرية التعبير ومعارضة الحـاكم شبه معدومـة ومحرمـة دينيـاً لأن الحـاكم أو الـوالي هـو هبـة مـن السـماء ورب العالمين لا يجب معارضته. وتدريجياً أصبحت الحكومات والمجتمعات كلها تعمـل على تنمية وترسـيخ ثقافـة القطيـع !! فكيـف لمجتمعـات العمـل المـدني العربيـة الخروج مـن هـذه الثقافـة ومـن الخـوف المتأسـس في قلوبنـا ؟؟ هـي بإعتقـادي المحاربة والقضاء على الفساد، ترسيخ الثقافـة، ترسـيخ المسـؤولية المجتمعيـة وان

يكون الهدف هو الإنسان، وليس اعتبار العمل في تلك المنظمات مجرد وظيفة تضمن الراتب الشهري فقط حيث نرى بعض الأفراد في تلك المنظمات الغربية يعملون بشكل طوعي وبدون مرتب أو مردود مالي.

المعرفة العلمية:

العلم بمفهومه الحديث هو نتاج المجهود المنظم المتصل الذي يبذله الإنسان لفهم نفسه وإمكانياته وبيئته وكيفية التحكم والسيطرة عليها خدمة للبشرية كلها. والبحث العلمي هو وسيلة الإنسان لتوسيع نطاق هذا الفهم وتعميقه من خلال العلوم الطبيعية وعلوم الحياة واستخدام حواسه وعقله وقدرته العضلية فحواس الإنسان تساعده في كشف الدنيا من حوله، وعقله يرشده إلى ما يجب أن يفعله تجاه البيئة التي يعيش فيها وعضلاته وسيلته المادية فيما يطلب من عقله، فأحياناً عضلات الإنسان تكون محدودة فهنا يقدح عقله لتسخير قوى الطبيعة في خدمته من قبيل الاختراعات المختلفة التي تفيد البشرية جمعاء.

فالمعرفة العلمية المعاصرة تعتمد بشكل كبير على آلات الحاسبة الالكترونية والتي ساعدت الإنسان في حل المشكلات العلمية والإدارة الآلية للمصانع وإدارات الحكومة والأعمال الحسابية للمصارف والشركات فهناك العديد من الدول العصرية الحديثة تطمح بجعل نظامها الكتروني لكي تسمى الدولة الالكترونية أو الذكية التي يعتمد نظام الإدارة فيها على الكومبيوتر. وأفرزت المعرفة العلمية ظاهرة اجتماعية وهي الاستهلاك التفاخري وتنوع الأذواق وسعي الفرد المستمر لتغير ملبسه، أثاثه، سيارته، مقتنياته وغيرها.

البناء المعرفي العلمي لا يشبه البناء الاجتماعي من حيث تركيبه من سياسي واقتصادي واجتماعي وعسكري وتربوي وديني فنسق المعرفة العلمية كالمجتمعات الصناعية لا نجد فيها سيادة المعرفة السحرية أو الأسطورية والدينية. لكننا نجد مجتمعات أخرى كالهندي يسود فيه نسق المعرفة الدينية بحيث يكون أقوى من النسق العلمي والمجتمع العربي بدرجة اقل منه نوعاً ما يسوده نسق المعرفة الدينية أكثر من سيادة نسق المعرفة العلمية.

أسباب التباين في هيمنة نسق معرفي معين على باقي انساق المعرفة الأخرى داخل المجتمع الواحد فهي ترجع إلى :

1. فاعلية العقل الباطن البدائي على أفراد المجتمع.
2. إذا كانت علاقة الإنسان بالكون مقدسة ويشعر انه مرتبط بالطبيعة أكثر من أي شيء آخر فأن ذلك يغذي المعرفة الأسطورية كما في المجتمع الهندي والصيني عكس المجتمع الألماني، الإسكندنافي والأمريكي.
3. أما إذا كانت علاقة الفرد بالكون يشوبها الغموض والاتهام والدهشة والتعجب أي المجتمعات التي لا تعتمد على المبادئ العقلية والمنطقية في تفسير الأحداث الاجتماعية والكونية ولم يجد أسباب أو علة ذلك فيلجأ إلى الأوهام والخرافات لكي يعلم الغيب أو الحكم على المستقبل وهذا ما نجده في المجتمعات الشرقية وبعض الآسيوية ومنها المجتمعات العربية.
4. أما إذا كانت معرفة الإنسان نابعة عن عبادة قوة أقوى من قوته ولا يدركها عقله مما يدفعه إلى تقديسها فيلتزم بمحرماتها وبمحللاتها مكوناً

بـذلك معتقداتـه فهنـا تغلـب المعرفـة الدينيـة عـلى البنـاء المعـرفي لـذلك المجتمع كما في المجتمعات الهندية والصينية والإسلامية.

معنى ذلك أن جميع المكونات المعرفية لا تعمل ولا تنشط بدرجة واحدة في المجتمع الإنساني بل تعتمد على المسـتوى الـذهني لـذلك المجتمـع والمرحلـة التطورية التي يعيشون فيها وهذا ما يجعل من نشاط مكون معرفي معين عـلى آخر أو على باقي المكونات داخل البنـاء المعـرفي بمعنـى انـه لا يوجـد اسـتقلال مطلق لكل نسق أو مكون معرفي بل هنـاك اسـتقلال نسـبي. ولم يوجـد تنـاغم وظيفي بين المكونـات بسـبب وجـود تعـارض بينهـا كالنسـق العلمـي والـديني وغيرها، وهذا مما يجعل حالة التوازن بين تلك الأنساق أو المكونات داخل البناء المعرفي مفقوداً وكـما قلنـا هـذا لا يشـبه البنـاء الاجتماعـي لا في ترابطـه ولا في وظائفه.

فالمعرفة هـي التـي تُكـونْ الـنظم الاجتماعيـة فعنـدما يعـيش العـالِمْ أو المُفكرْ في مجتمع تسوده صراعات مختلفة مثلاً بـين الأغنيـاء والفقـراء والحكـام والرعيــة وتنــتشر فيــه أنــواع الفســاد الإداري والمــالي والســياسي والأخلاقــي والانحرافات السلوكية ورتابة في الحياة الاجتماعية والنشـاط السـلوكي كـل ذلـك يؤدي إلى الشعور بعدم حدوث آمل بالتغيير أو التحول الاجتماعي للأفضل مـما يجعل تلك الصراعـات والمشـاكل تـدور في حلقـة مفرغـة و لا تسـتطيع التغيـير والذي نلمسه بشكل واضح في المجتمع العربي.

لكن هنا يلعب العلماء والمفكرين والمثقفين دورهم وذلك بأن يفكروا ويرسموا صوراً خيالية لمجتمع خالٍ من ما هو موجود في الواقع من أمراض اجتماعية وشذوذ سلوكي واستغلال اقتصادي وتعسف سياسي.

فالمفكرين والمثقفين العرب الذين يوصَفون بالخيال الخصب الذي نلمسه من إشعارهم وقصائدهم ونتاجاتهم الفكرية إلا أنهم لم يصوروا فيها رسومهم الخيالية أو يغيروا شيء، نتيجة طموحاتهم المكبوتة المقموعة واكتفوا بتنبيه الناس إلى ما يدور حولهم من فساد وتدهور أخلاقي وقيمي والتي نشاهدها من على شاشات التلفاز على شكل مسلسلات وبرامج نقدية لتشخيص ونقد الأمراض الاجتماعية المستوطنة في المجتمع العربي مستخدمين بذلك حواسهم وعقولهم للتنفيس عن معاناة الأمة النفسية والفكرية. يهدفون من ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تغيير في تركيبة المجتمع للأحسن إلا أنهم ليس لديهم موقعاً سلطوياً له القدرة على التغيير.

هذا كما حدث في أوروبا خلال الفترة التي سبقت عصر النهضة هو هروب العديد من المفكرين والمثقفين من الواقع الاجتماعي المتردي وسيطرة الكنيسة على زمام الأمور طلباً لحياة أفضل وحل المشكلات الاجتماعية القائمة آنذاك بمجتمعم ونادوا بالاستقرار الاجتماعي.

إن هروب هؤلاء المثقفين من ذلك الواقع الاجتماعي المؤلم لم يكن هدفه التنفيس عما يعانيه هو ومجتمعه إنما كان مطلباً فسيحاً يجد فيه المفكر سبيلاً وخلاصاً لنقد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وقيامه بدور ايجابي بالتعبير بحرية

وعلى نحو لا يُعرض نفسه لبطش السلطة القمعية وهذا الدور الـذي يقـوم بـه هو نوع من الأدوار المثالية التي من الممكن أن يلعبها الكاتب، المفكـر، المثقـف وغيرهم ففي مجتماعاتنا العربية هناك العديد من الشـعراء والأدبـاء والمثقفـين والفنانين قد هاجروا بلادهم للعيش ببلدان أخرى هرباً مـن عقوبـات السـلطة القمعيـة ولتـوفر هـامش مـن الحريـة في منـافيهم نـادوا بـالتغيير والاسـتقرار الاجتماعي مثل الشعراء محمد مهـدي الجـواهري، عبـد الوهـاب البيـاتي وبـدر شاكر السياب من العـراق واخـرين مـن الشـعراء والكتـاب في الاقطـار العربيـة الأخرى.

مداخل المعرفة الاجتماعية المثالية

من ابرز مداخل المعرفة المثالية هي:التأريخ، العقل، والمصالح العامة

بداية الاهتمام بهذا الموضـوع الفكـري كانـت في ألمانيـا تحديـداً بعـد أن اهـتم المفكـرين الألمـان بجهـودهم المكثفـة التـي بـذلوها في دراسـة الأفكـار والمفاهيم الأخرى التي أتى بها (ماركس وميزوا) هؤلاء المفكرين وغيرهم رسـموا ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر على نمو وتطور المعرفة الاجتماعية:

1 – ظهور علم الاجتماع وبروزه مـع بدايـة نمـو وتطـور العلـوم جميعهـا الذي اهتم بالتجمعات والتكتلات الاجتماعيـة للأفـراد التـي تآلفـت مـن خـلال تفاعلاتهم المستمرة والتي أدت إلى انسجامهم وتعاونهم وتكتلهم واعتبروا هؤلاء المفكرين هذه التفاعلات شرطاً أساسياً لإرساء المعرفة الاجتماعية بين الأفراد.

2- التركيز على الفرد وذاته واندماجه بالجماعة بعد أن كان مستقلاً في حياته في بداية الأمر ثم زادت من تفاعلاته واتصالاته وأدى إلى تغيير في البناء الاجتماعي بالتالي اثر على تفكير المفكرين وبعد التأكيد على الفرد أنعش ميدان علم النفس في دراسته للنفس الفردية ودراسة سلوكياته في الحياة اليومية وظواهره الشخصية. كل ذلك شكل أساساً مهماً للمعرفة الاجتماعية.

3- التفكير الفطري للإنسان والمتبلورة على شكل نصوص والتي تمثل وجه وشكل المجتمع الإنساني وسمي فيما بعد بالمنطق.

هذه العوامل الثلاثة التي تمثل شروطاً اجتماعية لتطور فكر الفرد الناتج عن تفاعلاته الاجتماعية والتي ساهمت في ظهور ونمو المعرفة الاجتماعية.

يمكن تلخيص بداية الدراسة العلمية للمعرفة الاجتماعية في ألمانيا في عامي 1924-1925 حيث كانت تركز على دراسة التفاعل الذي يحصل بين العوامل المثالية والواقعية ونتيجة للمحاولات المستمرة من المثقفين والفلاسفة المثاليين الألمان، وظهور جورج (وليام هيغل) الذي أضاف إلى ما موجود من المعرفة الاجتماعية نظرية(التحليل الجدلي) المعروفة بالموضوعية وكل تلك المحاولات والنشاطات أوجدت مناخ فكري جيد الذي أنمى وطور العديد من الجهود المعرفية المختلفة في الفن والأدب والفكر والفلسفة والهندسة المعمارية عكست إبداعات الألمان العبقرية وانتعش فيها علماء الاجتماع فكرياً وثقافياً.

إلا أن هذا المناخ الفكري لم يدم طويلاً حيث حصل في عام 1924 تغير في البناء الاجتماعي الألماني بعد أن أصبحت رائداً للقوة الصناعية في

أوروبا ولكن بعد أن وقعت الأزمة الاقتصادية العالميـة في أكتـوبر 1929- 1932 جلبت المشاكل لألمانيا وأصبح معظم عمالها عاطلين عن العمل فحصلـت شـحة في المواد الغذائية وغيرها من مواد أخرى وتحت تلك الظروف القاسية تغير نمط العيش للفرد الألماني فظهرت حركات سياسية واجتماعية مناهظة للطبقة الغنية وانغمر الألمان في الـلـهو والتسلية للهروب من هذا الواقع المتردي وبدأ التفكـك الاجتماعي وبعدها هاجر بعض علماء الألمان إلى دول أوروبية وأمريكية ونقلـوا معهـم معـرفتهم أمثـال (انشـتاين) في الفيزيـاء(وبرخسـت) في الشـعر والمسرح وازدهرت الموسيقى المجسدة. ولكن الألمان بعد حـين صـحوا مـن هـذه الكبـوة واستعادوا دورهم وريادتهم بشتى المجالات ولغاية الحرب العالميـة الثانيـة بـين الحلفـاء ضـد (هتلـر) ورغـم الشروط القاسـية والمُحْكمـة التـي فرضـتها دول التحالف والعالم ضد ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية نراها اليوم من أقوى اقتصاديات أوروبا والعالَمْ الذي يزعج ويقلق الآخرين من الدول الكـبرى، وتطورها في المجال المعرفي والإنساني والتكنولوجي.

إلا أن العقـول والمفكـرين والأدبـاء والشـعراء والفلاسـفة العـرب عنـدما يهجرون بلادهم للمنافي يكيلـون كامـل غضـبهم وحقـدهم عـلى بلـدانهم التـي هجروها ونظامها السياسي و يبدأون بفضـح ذلـك النظـام وممارسـاته القمعيـة رغـم أنهـم ليسـوا بحاجـة لـذلك لأنـه معـروف للـرأي العـام المحـلي والعـالمي، فيكونون بذلك قد نسوا فسحة الحريـة بمـوطنهم الجديـد لـكي ينقلـوا خـبرتهم ومعرفتهم ويبدعوا وينتجوا أكثر فأكثر خدمة لأوطانهم وللبشرية.

وبعد ظهور التيار الديني في عموم الوطن العربي بعد عام 1980 أي بعد الإطاحة بشاه إيران ومجيء الخميني ومحاولات تصدير الثورة الإسلامية ومن ثم الحرب العراقية الإيرانية وبعدها احتلال الكويت من قبل العراق ومجيء القوات الأجنبية في المنطقة، كل تلك الظواهر غيرت الكثير من المفاهيم الدينية والحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والأعراف الاجتماعية والمعرفية والتعليمية وغيرها، والذي استغلها رجال الدين المتطرفين لمصالحهم الشخصية والنفعية وبدعم من قوى خفية كبرى!! كل تلك الأحداث أثرت في النسيج للمجتمع العربي وجعلت فئة الشباب يفكرون بالهروب من بلدانهم وهجرتهم لكافة أصقاع العالم للتفتيش على ملاذ آمن إلا أن البعض من هؤلاء لم يستفيدوا من فسحة الحرية والتطور الموجود في عالمهم الجديد فلم يتأقلموا مع الحياة الجديدة ومن ثم الاستفادة من المعرفة والتعليم اللتان تركز عليهما الدول المتحضرة المتطورة في تقدمهم على باقي الأمم. فبدلاً من أن يستغلوا الحريات والسماحات والشعور بالآدمية ومنح جنسيات ذاك البلد التي لطالما افتقدوها في بلدانهم الأصلية نرى البعض منهم اتجهوا إلى الانخراط بالتنظيمات المتطرفة والجهاد ضد الكفر ونسوا أن دول (الكفر حسب تصورهم) هي التي احتضنتهم وعلّمتْهم وأبنائهم وقدمت لهم الرعاية الصحية وكل ما يحتاجه الإنسان المتحّضرْ.

من هذا نستنتج أن المعرفة بمعانيها وأبعادها الفكرية والاجتماعية تبقى مفتوحة ومتاحة لكل الأجيال البشرية لأن الإبداع والإنتاج المعرفي لا ينضب

بسـبب حيويـة العقـل الإنسـاني وتفاعلـه مـع المسـتجدات وصـيرورة المجتمـع الإنسـاني الـذي نجـده مليئـاً بهـذا التفاعـل الـذي أنجـب العديـد مـن الأفكـار والنظريات والفلسفات التي عكست المعرفة الاجتماعية والإنسانية.

كما أسلفنا أن علماء الاجتماع استفادوا من المعرفة وتداخلوا معهـا حيـث استخدموا دراسة الوجه المثالي النموذجي للمعرفة الاجتماعية والتي تؤكد عـلى: التأريخ، العقل، المصلحة العامة.

فمثلاً عند دراسة معرفة العقيدة الألمانية ذهب عالِم الاجتماع إلى دراسـة الخلفية التأريخية مبتدئاً من فلسفة (هيغل) التـي تركـز عـلى معرفـة التـأريخ ككل لا يتجزأ. ثم التحليل المنطقي للأحداث التاريخيـة العقلانيـة أي لم يعتمـد على الأحداث الفردية والشخصية، تلك الدراسة كشفت جانب من مراحل تقدم البشرية التي بدأت بالمرحلة الواقعية وانتهت بالمرحلـة المثاليـة وبنـى (هيغـل) فلسفته الخاصة للتأريخ ورفضه للأحداث التي تعبر عن المصـلحة الذاتيـة وأكـد على أن تتماثل معها المصلحة العامة وان تكون جزءاً منها لان الفـرد يعـيش في ظل مجتمع ويخضع للدولة فأن هذا الارتباط بين الفـرد والدولـة عـبر المجتمـع يجعــل المصــلحة الفرديــة مندمجــة مــع العامــة بشرط أن لا تفــرض الدولــة قيوداً على حرية تفكير الفرد وتحد من نشاطه.

ومــن ابــرز نمــاذج المعرفــة الاجتماعيــة (الايــدولوجيا، الاشــتراكية، الديموقراطيـة، الفاشـية، النازيـة) التـي نشـأت مـن واقـع اجتماعـي وسـياسي مضطرب غير متوازن غلبت عليه حـالات التعسـف والتسـلط الفـوقي في البنـاء

الاجتماعي وركود في النشاط الاجتماعي كل ذلك كوّن تناقضاً بين قوى المجتمع وبناءه الاجتماعي الذي بدوره قوّض أقلام العلماء والمفكرين لكنه رغم ذلك استطاعوا أن يحققوا النجاحات والدراسات.

استغلال الحاكم للمعرفة:

عندما يحاول العديد من العلماء رفع معرفتهم الاجتماعية المثالية إلى مستوى التطبيق ولكن ذلك لا يتم إلا بموافقة الحاكم أو الساسة، وهنا تأتي الحاجة إلى أن هؤلاء الساسة والقادة والحكام يكونوا على درجة معينة من استيعاب ما جاء به العلماء لكن عندما يستطيع احد هؤلاء الحكام الظفر بالموقع السلطوي والهيمنة على مناحي المجتمع عندها يقوم بتسخير المعرفة المثالية وأنصارها لخدمة أغراضه الشخصية والسلطوية لا الإنسانية أو المعرفية المثالية، بل تبقى تلك المبادئ شعارات يطلقها لفظاً لتستخدم لمآربه التسلطية على المجتمع وتعزيز نفوذه داخل نظام الحكم وفي ظل هذا الظرف تصبح أحاسيس وأفكار العلماء لا وجود لها وان الأهداف الإنسانية النبيلة التي نادوا بها مسخت وحل محلها أهداف تسلطية ضد الفرد والمجتمع. فالمجتمعات عندما تصل إلى مرحلة من التطور هي التي تقوم بإختيار وإنتاج الدولة أما المجتمعات المتخلفة فأن الدولة هي التي تقوم بإنتاج هذا المجتمع أو ذاك.

فمثلاً يدعي الحاكم تطبيقه نموذج معرفي معين(اشتراكي، ديموقراطي) لكن واقع الحال يستخدم هذا غطاء لتحقيق مآربه وهذا ما حدث لموسوليني،

هتلر، حكام أوروبا الشرقية وما شهدناه ونشاهده الآن من بعض الحكام والملوك العرب وهم خير مثالاً للطغاة والفاسدين والمتسلطين.

فعندما يستغل السياسي والحاكم المعرفة غطاءاً يلبسه لكي يظهر أمام المجتمع والعالم بأنه ممثل لها أو انه ابنها ويتفانى في سبيل تحقيق أهدافها ويخدم المجتمع الإنساني وبعدها يتخلى عنها ويبقى هو القائد الطاغي المطلق الذي يخلق بدوره الفوضى والاضطرابات بين القوى الاجتماعية داخل المجتمع و أعلاء فئة اجتماعية معينة على حساب فئة أخرى. وبسبب استمرار طغيان هذا الطاغية أو ذاك المتمترس بغطاء النموذج الاجتماعي المثالي فَيَصّلْ إلى نهايته فينهار نظامه الفاسد ويأتي غيره وهكذا تدور الدائرة المفرغة. ويبقى عمل المفكرين برصد الأحداث الاجتماعية فيصوغوا أجمل الصور الإنسانية النبيلة.

إلا أن الحالة في مجتمعاتنا العربية تختلف عن المجتمعات الأخرى في كافة بقاع العالم حيث تم تدمير البناء المعرفي النموذجي وشوه صورتها المثالية بسبب ما خلفوه الحكام العرب من دمار وتخريب بناء الإنسان وتكوينه وأحاسيسه وعقله وعندما يأتي الخلف لهذا الرئيس العربي أو ذاك المتغطرس فيكون نسخة طبق الأصل لما قبله بل أحياناً أسوأ منه.

أين العرب من مجتمع المعرفة؟

أدرك المفكرون والفلاسفة منذ وقت طويل أهمية العلم وقوة المعرفة، فقد كتبوا قبل ما يقرب من أربعة قرون على أن (المعرفة قوة)، وتحدث آخرون عن أهمية العلم في التحولات التي شهدتها البشرية في مراحل انتقالها الحاسمة.

فـالقوة بمعناهـا التقليـدي قـد تحولـت بمـا يتناسـب والتطـور الحضـاري للمجتمعات الإنسانية. فبيـنما كانـت القـوة العسـكرية هـي الحاسـمة في عصر الزراعة، أصبحت القوة الاقتصادية هي المهيمنة في عصر الصناعة ويتوقع علـماء الحداثيين والمتنوريين أن تكـون المعرفـة وتطبيقاتهـا التكنولوجيـة أبـرز مظـاهر القوة مع التحول الذي نشهده في بداية عصر المعرفة أو مجتمع المعلومات.

يبدو واضحاً اليوم أننا إزاء شكل جديد من التطـور المجتمعـي يعتمـد في سيطرته ونفوذه على المعرفة عموماً والعلمية منها بشكل خـاص. مـثلما يعتمـد على كفاءة استخدام المعلومات في كل مجالات الحيـاة حيـث يتعـاظم فيـه دور صناعة المعلومات بوصفها الركيزة الأساسية في بناء الاقتصادات الحديثة و تتعزز فيه مكانة الأنشطة المعرفية لتتبـوأ أكـثر الأمـاكن حساسـية وتـأثيراً في منظومـة الإنتاج الاجتماعي. وغالباً ما يطلق على هذا التحول وبصورة خاطئة (عصر ثورة المعلومات) ذلك لأن المعلومات لا تشكل إلا جزءاً من الثورة المعرفية التي تقوم عـلى العلـم والتقـدم التكنولـوجي في مجـالات البيولوجيـا وميـادين المعلومـات والاتصالات والتفاعل المستمر بين هذه الحقول.

وكان التطور الأبرز في هذا المشهد ظهـور نمـط معـرفي جديـد يقـوم عـلى وعـي أكـثر عمقـاً لـدور المعرفـة والرأسـمال الـبشري في تطـور الاقتصـاد وتنميـة المجتمعات وهو ما يطلق عليـه (اقتصـاد المعرفـة). فقـد أصـبحت المعرفـة مـورداً اقتصادياً يفوق بأهميته الموارد الاقتصادية الطبيعية، بل إن القيمة المضافة الناتجة عن العمـل في التكنولوجيـا الكثيفـة تفـوق بـعشرات وربمـا مئـات المـرات القيمـة

المضافة الناتجة عن العمل في الزراعة أو الصناعة التقليديتين. ويكفي إلقاء نظرة مقارنة على مساهمة القطاعات الاقتصادية والشركات التي تعمل في مجالات البرمجيات والتقنيات الصناعية والزراعية إضافة إلى الاتصالات وأنظمة التسلح، للتأكد بأن المعرفة قد أدخلت المجتمعات المعاصرة التي تحتكر الإنتاج في هذه القطاعات في المرحلة ما بعد الصناعية فقد زاد حجم السوق العالمية للمعلوماتية عن تريليون دولار منذ عام الألفين.

ترتب على هذه التحولات نتائج وآثار مباشرة بعيدة المدى. فلم تعد المعرفة سلطة وقوة فقط، بل أصبحت أبرز مظاهر القوة في عالم اليوم ولم يعد مجدياً بالنسبة للدول والمجتمعات التي تحاول تنمية اقتصاداتها واللحاق بركب التقدم العلمي تجاهل هذه الحقائق أو التأخر في أخذها بالحسبان.

ولعل في رأس هذه الأولويات، إجراء زيادات حاسمة في الإنفاق المخصص لتعزيز إنتاج ونشر المعرفة، وخصوصاً في مجالات التعليم بمراحله المختلفة والبحث العلمي بمراكزه وميزانياته فضلاً عن استراتيجيات بناء القدرات البشرية، بما في ذلك إعداد الخبراء والباحثين وتشجيع الابتكار وبراءات الاختراع وحماية المتفوقين.

وإذا اكتفينا بميدان الإنفاق على البحث العلمي نظراً لأهميته فإننا سنجد أن الدول الصناعية المتقدمة تنفق الكثير من ناتجها القومي الإجمالي على البحث العلمي كما في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا. بينما لا تزيد نسبة ما تخصصه البلدان العربية مجتمعة للبحث العلمي عن 1% من

متوسط ناتجها القومي الإجمالي، وهذه النسبة الضئيلة لا تفي بالغرض المنشود للمعرفة. فيظل المجال الإبداعي النقطة الأضعف والأبرز في المشهد المعرفي العربي لقلة ما تنفقه الدول العربية على البحث والتطوير الذي يؤثر كماً ونوعاً فمثلاً إن معدل نصيب المواطن العربي لا يتجاوز 10 دولارات في السنة من مجمل ما ينفق على البحث العلمي مقارنة بحصة المواطن الماليزي التي تبلغ 33 دولاراً إما في فنلندة فيبلغ 1304 دولاراً في السنة، فإنتاج ونشر المعرفة في البلدان العربية ما زال يعاني من جملة صعوبات تتمثل في نقص الدعم المؤسسي وعدم توافر البيئة المناسبة لتشجيع العلم، إضافة إلى انخفاض أعداد المؤهلين للعمل في البحث والتطوير الأمر الذي يتطلب إعادة هيكلة الإنفاق العام وتحديد الأولويات التنموية على ضوء المتغيرات.

مجتمع المعرفة والاقتصادات المبنية على المعرفة مرحلة نوعية في تاريخ البشرية تجعل من المعرفة مورداً لا ينضب تسعى المجتمعات والدول لاكتسابه والاستفادة من المزايا التي يوفرها لمنتجيه. فالغني اليوم ليس غني الأموال فقط بل غني المعرفة، والفقير أيضاً ليس فقير الدخل فقط بل فقير المعلومات، هذا إضافة إلى العلاقة المؤكدة التي تربط بين ارتفاع الدخل وتحسن المعارف والعكس بالعكس. تدلل المؤشرات المتوفرة عالمياً على أن حجم صناعة المعلومات قد تجاوز ثلاثة تريليونات دولار سنوياً، كما يقدر حجم التجارة الإلكترونية بتريليون دولار، فالبورصات الإلكترونية والإعلان والتسويق والتوزيع على الإنترنت أشبه بحمى تجتاح العالم وتترك عليه بصماتها الواضحة.

وشيئاً فشيئاً بدأت الثروة تأخذ مفهوماً رمزيـاً مختلفـاً عـما هـو مـألوف، وتغيرت المقاييس والمفاهيم، فبعد أن منحت الثقة إلى الـذهب والفضـة ثـم إلى الأوراق النقديــة، توصــل العــالم إلى قناعــة مختلفــة مفادهــا أن الإختراعــات الإلكترونية المتناهية الصغر يمكن مقايضتها مقابل سلع أو خدمات. ومع تنـامي قطاع المعلومات لم تعد الـثروة تعـبر عـن موجـودات صـلبة وملموسـة كـالأرض والمصانع بل أصبحت أسْهماً في شركات وتكـتلات اقتصـادية تسـتمد ثروتهـا مـن الإمكانات المعرفية الموجودة في عقـول القـائمين عليهـا، فالمسـاهم إذاً لا يشـتري أصـولاً واضـحة، لكنـه يشـتري القـدرة التنظيميـة والتسـويقية والفكريـة لهـذه الشركات. وعليـه فـإن رأس المـال يكـاد يكـون شـيئاً رمزيـاً، فالأسـهم وبطاقـات الائتمان المحوسبة والتدفقات المالية عبر الشبكة قد حولـت الـثروة أو مصـدرها الرئيسي من الأشياء إلى الأفكار، ومن الموجودات إلى الكفاءة والخبرة والابتكار.

ما يميز اقتصـاد المعرفـة إذاً الاعـتماد المتزايـد عـلى قـوة العمـل المؤهلـة والمتخصصة في مختلف ميادين الحياة، إلى جانب انتقال التنظيم الاقتصادي من الاعتماد على إنتاج السلع إلى إنتاج الخدمات.

والمعلومة التي تشكل قوام مجتمع المعرفـة أدت إلى اخـتلاف وتـداخلات بين اقتصاد السلع واقتصاد الخدمات ودمجتهما مع بعض.

وهكذا فإن الإنسان الفاعل في النظام الجديد هو إنسان متعـدد المهـارات وقادر عـلى الـتعلم الـدائم، الأمـر الـذي يتطلـب سرعـة التكيـف والتـأقلم مـع

التبدلات المتواترة الناتجة عن الطبيعة الاقتحامية والتحويلية للتكنولوجيا والتي تؤثر بشكل ملموس على النظم الاجتماعية والثقافية، وطرق العيش، ونمط الحياة وعادات الاستهلاك، ومعنى العمل ومكانته وعلى عقل الإنسان وحواسه.

إذن إننا(نحن العرب) إزاء مهام جديدة تتطلب من الفرد والمجتمع قدرة على الفرز النقدي للوصول إلى اختيارات واعية في أنظمة التعليم والثقافة والإعلام، فيما لو أردنا أن نحافظ على هوية مجتمعاتنا الحضارية وانتمائها القومي من المسخ أو الذوبان في هذا التيار الدافق مع الاحتراز من خطر آخر لا يقل ضرراً، وأعني خطر التقوقع والجمود والانعزال عن روح العصر بدعوى المحافظة على الذات والنرجسية التي تدعونا أن نردد أننا الأحسن والأفضل بالعالم.

وبالرغم من أن المجتمع العربي لا يزال مستخدماً لمنتجات التكنولوجيا أكثر منه منتجاً لها، فإن العرب يمتلكون أهم مقومات النجاح للدخول في مجتمع المعرفة، وهو الكادر البشري القابل للتعلم والمواكبة للتطور، كما يمتلكون الرأسمال الضروري للنهوض بمؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي. ولا ينقصهم سوى الإدارة الواعية الكافية لتوفير البيئة التنظيمية والمناخ المجتمعي الذي يشجع على البحث والابتكار، لأن المواهب الفردية العربية ـ على أهميتها ـ لا تستطيع العمل والمنافسة في بيئة إقليمية ودولية تتحول بشكل متزايد نحو المؤسسة والتنظيم وحصر المعارف والتقنيات الأكثر

تقدماً في أكاديميات ومراكز بحثية تستقطب الكفاءات من كل أنحاء العالم، لما تملكه تلك الأكاديميات من عوامل الجذب التي تبدأ بإعطاء تعويضات و مداخيل مغرية ولا تنتهي عند توفير الحريات الأكاديمية والإمكانات التقنية والإدارية بكل ما أثبتته في الميدان من الفاعلية والجدوى.

خصائص مجتمع المعرفة:

1 ـ الانفجار المعرفي:

يعيش العالم انفجاراً معرفياً غير مسبوق، بحيث يندر أن يمر يوم أو شهر دون أن تحمل لنا المجلات والصحافة المتخصصة أنباء عن اكتشافات واختراعات جديدة. ففي مجال الإلكترونيات على سبيل المثال تتوالى المكتشفات بحيث أصبح التراكم المعرفي يتزايد ويتضاعف كل 18 شهراً. ويكفي أن نعرف أنه في عام 1500 عندما اخترع (غوتنبرغ) المطبعة كان إنتاج أوروبا لا يتجاوز ألف عنوان سنوياً، بينما يزيد الآن عن ألف عنوان يومياً. وإن 90% من العلماء الذين أنجبتهم البشرية خلال تاريخها يعيشون الآن بيننا من خلال ما أنتجوه. كما أن غالبية هؤلاء أي أكثر من 90% منهم يعملون في البلدان المتقدمة. وتشير المعطيات إلى أن البشرية قد راكمت في العقدين الأخيرين من المعارف مقدار ما راكمته طوال الآلاف السنين السابقة التي شكّلت التاريخ الحضاري للإنسانية.

من هو غوتنبرغ : هو ألماني ولد عام 1400م في مدينةماينز، عمل صائغاً في بداية حياته.

بعد أن كان الناس في أوروبا ينسخون كتبهم يـدويا ً حيـث أفنـى افـرادا ً كثيرون حياتهم بمشقة ينسخون الكتب بالريش والأقلام التي يبرونها من سـيقان النباتات. وعندما بدأ عصر النهضة في أوروبا وبازدياد الرغبـة في المعرفـة ازدادت الحاجـة إلى الكتـب والطباعـة عنـدها بـدأ الألمـاني (جوهانسـن غـوتنبرغ) عـام 1440م ومعاونيه بإستعمال حروف معدنية منفصـلة للطباعـة البـارزة وبعـدها طور (غوتنبرغ) مطبعته من آلة كانت في الأصل مـعصرة للكـروم والجـبن. واعـدَ حروفاً معدنية داخل إطار ثم قام بتحبيرها ووضع عليها لوحا ً من الورق. وبعد نجاح مطبعته استطاع إنتاج وطبع حوالي 300 نسـخة يوميـا ً وفي عـام 1456 م تم طبع نسخة غوتنبرغ الشهيرة من كتاب الإنجيل.

2 ـ التسارع:

كان التغير وما يزال سُنة الكون وقانون الوجود الأبـرز. وحيـث أن التغـير في فجـر التـاريخ كـان بطيئـاً وغـير ملحـوظ، فإنـه حاليـاً يتسـم بتزايـد سرعتـه باستمرار. ومن أمثلة هذا التسارع سرعة المواصـلات والنقـل وإيصـال المعلومـة والخبر..

أما على مستوى تسارع نقل معطيات الصوت والصورة بواسـطة الأنظمـة الرقمية (Digital) فقد أصبح نقلها وبسرعة الضوء البالغة 390.000 كـم/ثـا إلى أي مكان أمراً عادياً.

من ناحية أخرى تقلصت الفترة الزمنية الفاصلة بـين ظهـور الفكـرة وبـين تطبيقها. فقد ظهرت فكرة التصوير الشـمسي عـام 1727 ولم يـتمكن أحـد مـن

وضعها في التطبيق قبل عام 1839 أي بعد 112 سنة، بينما تقلصت الفترة الفاصلة بين الاكتشاف وتطبيقه إلى سنتين في حالة الترانزيستور في أول خمسينات القرن العشرين، وهي الآن لا تتجاوز بضعة أشهر لمعظم الأفكار الجديدة.

3 ـ التطور التكنولوجي:

عندما نتحدث عن تطبيق الأفكار وتحويلها إلى أدوات وسلع وخدمات فإننا نقصد التكنولوجيا/ التقنية. والتكنولوجيا ذات طبيعة اقتحامية وتحويلية، بمعنى أنها تقتحم المجتمعات سواء كانت بحاجة إليها أو غير راغبة فيها، وذلك من خلال ما تقدمه من سلع وخدمات وحاجات جديدة.

وغالباً ما تكون التكنولوجيا الأحدث أحسن أداء وأصغر حجماً وأخف وزناً وأكثر تقدماً وتعقيداً من سابقتها. كما أن المعرفة والمعلومات اللازمة لإنتاجها أكثر كثافة وتتطلب ارتفاعاً متزايداً للقدرات البشرية من علماء ومطورين وتقنيين.

ولعل من أهم التطورات التكنولوجية التي شهدها العالم في العقود الأخيرة:

ـ طيران مفرط الصوتية (خمسة أضعاف سرعة الصوت).

ـ الهندسة الجينية بآفاقها الواعدة (الاستنساخ).

ـ مواد مختلفة جديدة لم تكن موجودة في الطبيعة كالألياف الضوئية والبلورات السائلة والخزفيات عالية التوصيل وألياف الكربون وتطبيقات الليزر وغيرها.

ـ الاندماج بين ثورة الاتصالات والكمبيوتر مع إمكانية الاتصال اللحظي التي تسمح بالحوار عبر المحيطات.

ـ تزايد إنتاج وتوليد المعرفة واكتشافها المتواصل من الخزان اللانهائي (الطبيعة) والاعتماد على هذه المعرفة في إنتاج وتوليد السلع والخدمات.

وبشكل مختصر تم اكتشاف القوانين الأساسية للعلم في مجالات المادة والحياة والعقل من خلال تحطيم نواة الذرة، وفك شيفرة نواة الخلية الحية، وتطوير الكمبيوتر الإلكتروني وما سبقهما من اكتشاف.

ومن الواضح أن هذه الحقول الثلاثة التي تشكل أعمدة العلم الحديث قد فتحت آفاقاً غير مسبوقة من إمكانات التقدم في المستقبل.

4 ـ انهيار الفواصل الجغرافية والتنافس في الوقت:

أصبح التنافس في الوقت والعمل في الزمن الحقيقي في كل مواقع العمل والخدمات التي تعمل بلا توقف لتلبية احتياجات المستهلكين في جميع أنحاء العالم هو السمة الأبرز للإنتاج بالرغم من الفواصل الزمنية واختلاف التوقيت، فلم تعد البنوك تغلق أبوابها بعد انتهاء ساعات العمل المحددة وكذلك المكتبات والدوائر العلمية البحثية والبورصة وشركات السياحة والطيران.. الخ، بمعنى أنه لم تعد هناك حدود زمنية لتوفير الخدمات والمنتجات وأصبح الناس في تنافس مفتوح في الفاعلية والوقت.

أما الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في المجتمعات العربية فهي انخفاض معدلات الإنفاق على البحث والتطوير بشكل ملفت كما أسلفنا

إضافة إلى صعوبات أخرى سنتطرق إليها رغم كل الأموال العربية في الداخل والخارج. إذ لا يتجاوز الإنفاق على البحث العلمي1% من إجمالي الدخل المحلي يصرف في غالبيته كرواتب، بينما تنفق السويد 3.02% تليها اليابان بنسبة 2.84% والولايات المتحدة الأمريكية 2.68%. واللافت أن نسبة ضخمة من الإنفاق على البحث العلمي والتطوير في البلدان المتقدمة تأتي من قطاع الأعمال والشركات الكبرى وهي على التوالي أمريكا،اليابان، ألمانيا، إنكلترا و فرنسا.

5 ـ ارتفاع المكونات المعرفية وتضاؤل المكونات المادية:

تتميز المنتجات الجديدة بتوظيف كثيف للمعلومات والمعارف وتتضاءل شيئاً فشيئاً قيمة المكونات المادية. فبعد أن كانت الأجزاء المادية تشكّل 30% من قيمة المنتج، فإنها وصلت إلى حوالي 10% اليوم وينتظر أن تنخفض إلى أقل من 2% في المستقبل.

تعود الأسباب الكامنة وراء هذا التحول إلى المواد الجديدة المستحدثة وإلى تزايد قيمة المكون المعرفي في المنتج، وقبل كل ذلك تعود إلى ارتفاع تكلفة البحث والتطوير اللازمة لتوفير منتجات جديدة تأخذ بعين الاعتبار معيار الجودة كأساس للمنافسة.

سوف يترتب على هذه التحولات التي تقلل من شأن المنتجات المادية والمصادر الطبيعية الأمر الذي سيزيد من هامشية الدول والبلدان التي تعتمد في ثروتها على هذه الموارد والمصادر وذلك بسبب الانخفاض المتواصل للقيمة

المضـافة في هـذه المنتجـات مقابـل الزيـادات المتواصـلة والحاسـمة في القيمـة المضـافة للمنتجـات كثيفـة المعرفـة كـما في البرمجيـات والـذكاء الصـناعي والتكنولوجيا الحيوية وغيرها وفي هذه الخاصـية تحديـداً ينفـتح الحـديث عـن (اقتصاد المعرفة)

قوة المعرفة في العالم العربي:

لقد بات واضحاً أن التقدم الحاصل في التكنولوجيا والتغـير السريـع الـذي حدث في الاقتصاد يؤثر ليس فقط في درجة النمو وسرعته فحسب، بل في نوعية حياة الإنسـان (Quality of life) باعتبارهـا مـؤشراً حاسـماً عـلى وجـود تنميـة بشرية قابلة للبقاء. فثورة التكنولوجيا ولا سيما في ميـدان الاتصـالات والإنترنـت أخذت تؤثر مباشرة على تعليم الإنسـان وتربيتـه وتدريبـه، وتجعـل مـن عامـل السرعة في التأقلم مع التغيـير مـن أهـم العوامـل الإنتاجيـة. فـالمجتمع الـذي لا يسعى إلى مواكبة التطور العلمي، سرعان مـا سـيجد نفسـه عـاجزاً عـن دخـول الاقتصاد الجديد (اقتصاد المعرفة) والمساهمة فيه، والدول التي لم تدرك بعد أن المعرفة هي العامل الأكثر أهمية للانتقال من التخلـف إلى التطـور، ومـن الفقـر إلى الغنى، وبالمعنى التنمـوي للعبـارة أي فقـر الـدخل وفقـر القـدرات، سـتجد نفسها على هامش التحولات، بل والمتضرر الأكبر منها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: أين نحـن كمجتمـع عـربي وكبلـدان مـن هذا التطور العاصف للعلم والتكنولوجيا، ومن هـذا الاتسـاع المتواصـل لنطـاق المعرفة ودورها. ثم ما هو مستقبل العالم العربي داخل مجتمع المعرفة العالمي؟

تفترض الإجابة المتأنية على السؤال المركب السابق، الانطلاق من التعـرّف على واقع قوة المعرفة في العـالم العـربي، وذلـك مـن خـلال التوصـيف التحلـيلي لحالة مؤسسات إنتـاج ونشر المعرفـة في واقعهـا الحـالي وفي احـتمالات تطورهـا المستقبلية:

أولاً: مؤسسات نشر المعرفة (الإعلام والتعليم)

تواجه عمليـات نشر المعرفـة في البلـدان العربيـة صـعوبات عديـدة مـن أهمها قلة الإمكانات المتاحة للأفراد والمؤسسات والتضييق على حريات أنشطتها خصوصاً في مجال الإعلام، ومع ذلك حقق العالم العـربي إنجـازات كميـة وكيفيـة ملموسة خلال النصف الثاني من القـرن العشريـن ومطلـع القـرن الجديـد لكـن وبالمتوسط العام ما يزال التعليم العربي يعاني من مجموعة كبيرة من المشكلات، فكمياً لم يتم استيعاب كل الأطفال العرب في التعليم الأساسي ما يعنـي اسـتمرار تـفشي الأميـة خصوصـاً بـين الإنـاث، كـما أن نسـبة ممـن ينتقلـون إلى المراحـل التعليمية الأعلى ما زالت منخفضة في الشرائح العمرية الموازيـة بالمقارنـة حتـى مع بعض البلدان النامية، كما وبالمقارنة مع احتياجات التنمية.

أما على مستوى نوعية التعليم العربي فما زال يعاني من تدني نوعيته ومن ضعف العلاقة التي تربطه بسوق العمل، الأمر الذي يقوّض واحداً من الأهداف الأساسية للتنمية البشرية المستدامة وهو الارتقاء بنوعية حيـاة الـبشر وتعظـيم قدرات الناس.

ومن المعروف أن الخطوات الضرورية للحاق بمجتمع المعرفة والمعلومات تقضي التخلص من الأمية الأبجدية وتخفيض الأمية التكنولوجية إلى مستوى 50% على الأقل من مجمل السكان وهذا يتطلب إعادة النظر نقدياً في المكونات الرئيسية لنظام التعليم، أي السياسات التعليمية وأعضاء هيئات التدريس والمعلمين، فضلاً عن تحسين شروط عملهم، ومراجعة المناهج الدراسية والمقررات الدراسية وصولاً إلى منهجيات التعليم. وهذا يشمل العملية التعليمية التي ستؤثر بصورة مباشرة على نتائج التعليم ونوعيته.

ودون اقتناع النخب السياسية العربية وراسمي السياسات التنموية بأن الاستثمار في مناجم العقول هو الاستثمار الأمثل والأكثر جدوى وفاعلية وديمومة الأمر الذي يتطلب تحولاً جذرياً في الإنفاق على الميكانزمات التنموية الأساسية وخصوصاً التعليم والبحث العلمي. فإن الأمل ضعيف في دخول مجتمع المعرفة من باب المشاركة فقط. وسينحصر موقعنا في أحسن الأحوال في استهلاك منتجات العلم والتقنية دون التمكن من المشاركة والإسهام الفعال في إنتاجها تماشياً مع متطلبات العصر.

وبالانتقال إلى وسائل الإعلام والاتصال الحديثة بوصفها إحدى أهم آليات نشر المعرفة على مستوى جماهيري، فإننا نلاحظ أن الإعلام العربي ما يزال في غالبيته يعاني من ضعف بنيته التحتية ومضامينه وتعرقله قوانين وتشريعات تحد من حريته وفاعليته وتؤثر على دوره في أداء رسالته الحضارية. وباستثناء بعض الفضائيات العربية التي تمكنت من توفير كفاءات مهنية جيدة

وهامش مـن الحريـة النسـبية الضرورية للنجـاح والاسـتمرار وبالنـد مـن تلـك الفضائيات فهناك بعـض الفضـائيات الدينيـة والإذاعـات الهوائيـة مثـل برنـامج (فتاوى على الهواء) والأخرى المتخصصة بإصـدار الفتـاوى الاجتماعيـة والدينيـة التي تحرم وتحلل حسب رغبة المفتي الغير مؤهل لهذه المهمة أصلاً وليس مـن اختصاصه وتلك الفضائيات تؤثر على بعض مـن عقـول الشـباب لكـلا الجنسـين تمنعهم وتبعدهم عن اكتساب المعرفـة مـما تسـاهم بشـكل أو بـأخر بـتعطيل وإعاقة عجلة التطور، ما يزال الإعلام العربي يعاني العديـد مـن المشـكلات التـي جعلته دون مستوى تحدي بناء مجتمع المعلومات. والصـحافة العربيـة عمومـاً محكومة ببيئة تتسم بتقييد حرية التعبـير والـرأي. ومـا التعطيـل عـن الإصـدار والضبط والمصادرة والتعرض لعقوبة الحبس أو الإيقاف عن ممارسة المهنة سوى أمثلة عن الصعوبات التي تواجهها الصحافة ووسائل الإعلام في الدول العربية.

مع ذلك شهد الإعلام العربي في السنوات الأخيرة تحولات إيجابية يصـعب تجاهلها. فدخول عنصر المنافسة وكسر احتكـار الإعـلام الرسـمي حـرك الجمـود وأدخل بعض الصحف المقرؤة والالكترونية والفضائيات العربية في منافسة قوية مع مثيلاتها في العالم وخلق حراكاً إعلامياً أسهم في تكوين رأي عام عـربي بـدأ في التبلور خصوصاً في المسائل والقضـايا العامـة التـي تشـكل قواسـم مشـتركة بـين المواطنين العرب، بهذا المعنى يمكن لهذه الحركة الإعلامية أن تلعـب دوراً فعـالاً وإيجابياً ومؤثراً خصوصاً وأنها تخاطـب باللغـة العربيـة الشريحـة الأوسـع مـن المواطنين وتنفذ إلى كل بيت عربي.

ثانياً: مؤسسات إنتاج المعرفة (البحث العلمي)

نتيجة للصعوبات التي تواجه مؤسسات نشر البحث العلمي والتي جعلتها بوضعية بائسة بالمقارنة بمؤسسات إنتاج المعرفة الأخرى، إذ تُبين المعطيات المتوفرة تواضع أعداد العلماء والباحثين في المجتمع العربي مقارنة بنظرائه في البلدان المتقدمة، فبينما يصل عدد العلماء والفنيين في الدول المتقدمة إلى 4 علماء لكل 1000 من السكان، فإنه لا يتجاوز عالم 1 لكل 1000 من السكان في المجتمع العربي حسب تقرير التنمية البشرية لعام 1997. كما يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني للعام 2003 إلى نسبة 371 لكل مليون من السكان في المجتمع العربي مقابل 979 لكل مليون من السكان في الدول المتقدمة أي أقل من المعدل العالمي بكثير، فالثورة العلمية التقنية اخترقت كل الحواجز والحدود وأصبحنا نعيش المجتمع التخيلي/الافتراضي (Virtual) society الذي يتعامل فيه الناس دون أن يلتقوا وجهاً لوجه.

أسباب الركود المعرفي وتأخر المجتمعات العربية والإسلامية

- الجمود الذي تشهده القطاعات الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية، انعدام الحريات العامة، تدهور المستوى التعليمي والصحي.
- ضعف الاستثمار في قطاعات البحث العلمي والتعليم بشكل عام.
- هامشية دور المرأة.
- ظهور الأصوليات الدينية.

- البعض يعزوها إلى الاستعمار الذي حفر في ذاكرة الشعوب العربية وشكل الصدمة والهوان الذي مازال حاضراً في الأذهان وهذا صحيح ولكن؟ (لو كان العرب متقدمين آكان بمقدور الاستعماريين الأوروبيين والأمريكان استعمار العرب).
- ضعف الترجمة قياساً بدول العالم.
- مشكلة الاهتمام بالزمن والرؤية والتأريخ واللغة التي فهمها العرب بشكل مغلق حيث آن العرب يولون اهتمامهم للزمن الديني وليس للزمن التاريخي وكيف تطورت المجتمعات، أي يبدأ بالخلق وينتهي بحتمية الآخرة وبشكل مقدس. في حين الحضارة الغربية أدركت أهمية الزمن وصلته بالحراك التاريخي والتطور.
- الحضارة العربية تركز وتَحنْ وتتغنى بالعصر الذهبي القديم وتجترها طوال الوقت في أدبياتها ومناهجاً التعليمة وإعلامها في حين الحضارة الغربية دائماً منطلقة نحو آفاق المستقبل وتحررت من هاجس التاريخ الميتافيزيقي.
- عدم استيعاب فكرة التسامح والاعتراف بالآخر وخاصة الأوروبين التي يراهم العرب أنهم افلتوا من التعصب والانغلاق والمحضورات السياسية وسيطروا على الطبيعة واستثمروها بشكل صحيح وأقاموا نظم ديموقراطية وحرية الفكر والتأكيد على مكوناتهم المعرفية والفكرية.
- الفقر والبطالة وزيادة التفاوت في توزيع الدخل والثروة وإهمال الرفاه الإنساني.

- الغالبية الساحقة لمجتمعاتنا تبدو قد فقدت القدرة على الفكر الناقد والتعبير الحر حيث لا تمتلك إلا قلة من العرب القدرة على المساهمة الفعالة في الشأن العام. والسمة الجوهرية للسياق المجتمعي في البلدان العربية والإسلامية هو تهميش الناس على أيدي القوى المسيطرة في تلك المجتمعات.
- نجحت الأنظمة العربية الحاكمة الاستبدادية والقمعية في خلق الرضى السلبي(الخنوع) لدى الناس مما يجعل الناس يغرقون في مستنقع المصالح الخاصة وعلى حساب الرفاه الاجتماعي وهذا مما يؤدي إلى عزوف الجماهير وخاصة الشباب في البلدان العربية والإسلامية عن التفاعل في الشأن العام وتصاعد اللجوء للعنف من قبل الجماعات المرافقة والمعارضة وبالتالي إلى دخول بلداننا في حالة العنف العام الذي يعيق ويضر بفرص التنمية الإنسانية.
- استغلال الحاكم والقوى المهيمنة (للمعرفة) لمصالح حكمهم ولا تترك الدولة العلم والبحث العلمي لحاله وتسيطر على المؤسسات البحثية والتعليم العالي وتمارس الترغيب والترهيب على العلماء مما أدى كل ذلك إلى تردي منظومة اكتساب المعرفة في بلداننا العربية والإسلامية.

أنـواع الأنظمـة العربيـة والإسـلامية وتأثيرهـا عـلى الحداثـة وتحصـيل المعرفـة وفقدانها

في سياق الحديث عن الجانب المعرفي عند العـرب يُلاحـظ كـثرة اخـتلاط المفـاهيم المسـتخدمة في الفكـر العـربي عمومـاً حيـث يجـري تنـاول مفهـومين مختلفين أو أكثر ووضعها في مفهوم ومعنى واحـد عـلى رغـم الفـارق بينهـا. مـا يقود ذلك إلى إرباك في الفكرة وتشوش في المضمون موضوع بحثنا هذا.
مما لاشك فيه أن المعرفة بمفهوم الحداثة مرتبطة بنتاج الفكر.

ما يعانيه العرب في حالتهم الراهنة من إشكالية مفهومهم للمعرفة. فهـم حين يستحصلون عن المعلومـة دراسـةً أو امتلاكـاً للتكنولوجيـا أو إطلاعـاً عليهـا فأنهم ينزعونهـا عـن عوالمهـا المعرفيـة التـي سـاهمت في إنتاجهـا ليـدخلوها في قوالبهم الإيديولوجية أو الدينية وهو مـا تظهـر محصـلته في معادلـة اسـتخدام المعلومـة لمحاربـة المعرفـة، تلـك حالـة كانـت ومـا تـزال موضـوع بحـث عنـد الاختصاصيين والمفكرين والمنظرين التـي تقولبـت بمعظمهـا في نظريـة المـؤامرة التي تتعرض لها الأمة في ماضيها وحاضرها وهذه المقولة أراحـت الفكـر العـربي عن بذل أي جهد في البحث عن مجالات أخرى.

بهذا الصدد لو تناولنا أشـكال الأنظمـة السياسـية العربيـة وتأثيرهـا عـلى النتاج المعرفي لوجدنا أن هناك نوعان من الأنظمة هما:
أنظمة راكدة ثابتة، أنظمة مضطربة متغيرة

الأنظمة الراكدة: وتشمل الملكيات، الإمارات، المشايخ، السلطانية وبعض الأنظمة الثورية والجمهورية المتوارثة التي تعتمد سياسة التوريث انسجاماً مع قوانين وطقوس القبيلة والعشيرة والأنساب ومن ثم للأجداد وللآباء و للأبناء وهنا تلعب المجتمعات الخانعة والصاغرة الواقعة تحت ظل الأنظمة المتسلطة دوراً في اعتماد سياسة التوريث والصنمية والتي تؤله الحاكم وأبناؤه وعائلته وعشيرته وتجعل منه والي نعمتهم وبدونه لا يمكن الاستمرار بالحياة. إلا أن هذه الأنظمة رغم استهلاكها المفرط للمعلومة في تحسين أوضاعها الاجتماعية ورغم الاستقرار الاقتصادي والسياسي إلا أنها في واقع الأمر راكدة معرفياً وبالتالي فهي الأكثر إنتاجاً لدعاوى التطرف المناهضة أساساً للمعرفة والإنتاج المعرفي وتدعو لمحاربته. ومن طبيعة هذه الأنظمة تكون متسامحة ومع قبول الليبرالية بصيغتها الاقتصادية مع الابتعاد والفصل عن ليبراليتها الفكرية كما ترفض منهج العلمانية في السياسة التي نشأت وتطورت الليبرالية كإحدى نتاجاتها أو في ظل تأثيرات إحداهما على الأخرى (العلمانية والليبرالية).

فهنا نجد الفارق بين الاستقرار والركود هو كالفارق بين النهر الجاري والبُرْك الساكنة الراكدة فالأول يكون مبعثاً للاخضرار بينما الثاني يكون مبعثاً للتآسن، لذا نلاحظ غياب الإنتاج المعرفي بصورة شبه تامة في تلك المجتمعات فيما تتصدر وتطفو فيها دعاوى التكفير وأفكار التطرف وظاهرة الانتحاريين المسنودة بفتاوى دينية بعضها مفبركة من رجال الدين إضافة للدعم المالي التي تروج لها بعض المؤسسات الدينية الوهمية المزيفة والمتسترة بغطاء الدين لجني

الأرباح الخيالية، وتنظر تلك الأنظمة إلى الحرية على أنها امتيازاً خاصاً لا ينبغي منحه إلا لطبقة معينة في الحكم أو قريبة من وتُقنن على باقي المجتمع أو تسيطر عليها بشكل مطلق وتعمل تلك الأنظمة وفقاً لمقولة ولي الأمر الواجبة طاعته مادام يملك قوة الشوكة (من قويت شوكته وجبت طاعته) فما تمنحه من هامش للحريات البسيطة تُشكل هِبة تمنح بقرار من ولي الأمر أو الحاكم الذي جيء به (بالتفويض الالهي)

ففي هذا النوع من الحكم والمجتمعات لم تسجل أية ظاهرة للإنتاج المعرفي بل تظهر وبشكل كبير مستهلكاً لنتاج المعرفة والمتمثلة بتحصيل المعلومة واستخدام التكنولوجيا. لذا يندر في تلك المجتمعات ظهور المفكرين والعلماء والفلاسفة ويعتمدون في بحوثهم ودراساتهم واقتباساتهم على مفكرين غربيين.

الأنظمة المضطربة: وهي الأنظمة الجمهورية التي تحكم استناداً لقوتها في أجهزتها العسكرية والأمنية التي عُدت إعداداً محكماً لحماية النظام.

وهذه الأنظمة تظهر بمستوى اقتصادي متدنٍ قياساً بمجتمعات الأنظمة الراكدة وعادة ما تكون متمسكة بالسلطة بشكل أو بأخر أكثر من الأنظمة الراكدة وأكثر قابلية للاضطراب باعتبار أن القوة وحدها يمكن أن تكون مصدراً لشرعية الحكم لذا كان هاجس الانقلاب العسكري دائم الحضور مما يجعلها أنظمة مضطربة عكس الراكدة التي تعتمد على نظام الحكم (الحق الالهي ومفهوم العائلة المالكة)

أهمية التعليم والبحث العلمي:

تتألف منظومة المعرفة من بنى رمزية تشمل المعطيات والمعلومات والأفكار والإجراءات التي يمتلكها الأفراد والمجتمع ككل. بهذا المعنى تنطوي منظومة المعرفة على كل ما يدخل في تشكيل البنى الرمزية مثل التعليم والتدريب والخبرة المكتسبة علمياً والخبرات المكتسبة حياتياً وعملياً.

إن مكونات المنظومة المعرفية والتي تتمحور حول بناء رأس المال المعرفي من خلال أدوات إنتاج المعرفة أي البحث والتطوير، والعلوم والآداب، وتقنية المعلومات والاتصالات. إلى جانب أدوات الحصول على المعرفة ونشرها مثل التعليم والتدريب، والإعلام والترجمة والنشر. ولا غرابة أن يحتل البحث والتطوير طليعة تلك المحفزات نظراً لأثره المباشر وقدرته على إنتاج معارف جديدة. يليه من حيث الأهمية التعليم بمراحله المختلفة الجامعي والثانوي،. وتأتي في المرتبة الثالثة الكتب المترجمة والمؤلفة.

أما عن المستوى التعليمي للقوى العاملة فإن المعطيات المتوفرة تبين أن نسبة كبيرة من الموظفين البالغين لا يتعدى تحصيلهم العلمي المرحلة الثانوية بما في ذلك الشهادة الإعدادية والابتدائية والملمين بالقراءة والكتابة، ونسبة قليلة من حملة الشهادات نسبة للتعداد السكاني الكبير الذي شكل عائقاً كبيراً على نمو وتطور المعرفة وغيرها لعدم توفر القوانين التي من شأنها الاستفادة من تلك القوى البشرية الهائلة.

وبالرغم من آن البعض يعزوها إلى انخفاض مـؤهلات الكـادر الحكـومي والبعض الآخر يعزوهـا إلى منافسـة القطـاع الخـاص الـذي يسـتقطب الخـبرات والكوادر البشرية المدرّبة بالنظر إلى ما يقدمـه مـن حـوافز ماديـة. إلا أن هـذه المعطيات تدلل بوضوح على أهمية مراجعـة معـايير آليـات التوظيـف، وإعـداد خطط واستراتيجيات تمكننا مـن الاسـتفادة مـن المـؤهلات والخـبرات العاليـة في إطار العمل الوظيفي.

لكن دراسة جديدة حول إمكانيـات النمـو الاقتصـادي كانـت قـد قـدرت مساهمة رأس المال البشري في الناتج المحلي كجزء من مساهمة العمالة الفاعلـة في الناتج.

الأمر الذي يؤكد أهميـة إعـادة النظـر بمعـايير واسـتراتيجيات التوظيـف. فهذه النسبة المنخفضة لمسـاهمة التعلـيم في زيـادة الـدخل، الـذي يعتـبر أهـم محركات التنمية المستدامة كما تؤكد تجارب عديدة في أوروبا.

لقـد برهنـت التجـارب المتعـددة أن التعلـيم عـلى المسـتويين الفـردي والمجتمعي هو أحد أهم أعمدة بناء أدوات المعرفة، وهو السـبيل الأمثـل لبنـاء الكادر البشري المؤهل. الأمر الـذي يتطلـب تحقيـق تطـوير نـوعي في منظومـة التعليم والتدريب.

والتطوير النوعي للتعليم قضية تسـتدعي مقوماتهـا وشروطهـا، ولعـل في طليعة هذه الشروط اختيار أسـلوب التعلـيم الإبـداعي الـذي يتجـاوز أسـلوب الحفظ والتلقـين ويكـون دور الطـلاب أساسـياً في هـذا الأسـلوب حيـث يطلـب

إلـيهم القيـام بـالتفكير والتحليـل والبحـث واسـتنباط الحلـول اعـتماداً عـلى المعلومات، فضلاً عـن تشـجيع التفكـير الحـر والمسـتقل بوصـفه أحـد مكونـات التعليم النوعي.

وبما أن الموارد البشرية عالية التأهيل والكفـاءة والخـبرة تعتـبر مـن أهـم مدخلات ومقومات العمل في الأنشـطة العمليـة والتطويريـة والإبتكاريـة، فـإن الارتباط يبدو وثيقاً بين حالة التعليم عموماً، والعالي منه على نحو خـاص، وبـين حالة إنتاج المعارف. فالتعليم بمراحلـه المختلفـة يقـوم بتكـوين وإعـداد بـاحثيّ وتقنييّ المستقبل.

ولا يكتمل البحث في جودة التعليم أو التعليم النـوعي إلا بالإجابـة عـلى السـؤالين المركـزيين التـاليين وانطلاقـاً مـن توجهـات الفلسـفة التربويـة لـعصر المعلومات وهما:

لماذا نعلّم ونتعلم ؟

ما هي مواصفات الإنسان بعد التربية المنشودة ؟

وبالرغم من غياب نظرية وإجابات مكتملة ونهائيـة، إلا أن هنـاك اتفـاق شبه نهائي حول ثلاث غايات أساسية للتعليم هي:

1 . إكساب المعرفة.

2. التكيف مع المجتمع.

3 . تنمية الذات والقدرات الشخصية.

وقد أضاف مجتمع المعرفة بعداً تربوياً وتعليمياً رابعاً وهو ضرورة إعـداد إنسان العصر لمواجهة متطلبات الحياة في ظل العولمة وذلك من خـلال تحقيـق الغايات الثلاث أعلاه، أمـا التربويـون ومعـدو تقريـر اليونسـكو اتفقـوا عـلى أن (التعليم ذلك الكنز المكنون) ويكون على النحو أدناه:

1. تعلّم لتعرف.
2. تعلّم لتعمل.
3. تعلّم لتكون.
4. تعلّم لتشارك الآخرين.

الغايات الأساسية للتعليم:

بالرغم من اتفاق معظم المربين والمهتمين بمسألة التعليم على نقد الطرق التقليدية في التعليم والتي تعتمد أساسـاً عـلى التلقـين والحفـظ، إلا أن البـدائل العلمية لهذه الطرق العتيقة لم تتبلور بشكل كاف بعد.

فمثلاً تواجه التربية العربية موقفاً صعباً للغاية، مما أصبح لزاماً عليهـا أن تجدد رؤيتها الفلسفية لمواجهة المتغير المعلوماتي والابتعاد عن فلسفة اجتماعية وتربوية عربية بالية وغير منطقيـة يغلـب عليهـا الحـلال والحـرام والممنوعـات الأخـرى وقصـور الـوعي العـام في إدراك الجوانـب التربويـة العديـدة لظـاهرة المعلوماتية وعولمتها، وتلك هي مجموعة مـن المبـادئ التربويـة الأساسـية التـي يجب أن تتضمنها إستراتيجية تطوير التربية العربية.

وان نعي ونعرف أن إكساب العلم يتم عبر مرور الإنسان بخبرات معينة تُغّير سلوكه وتلك الخبرات هي العملية التعليمية سواء تمت في إطار منهجي دراسي وخطة دراسية أو من خلال مواقف حياتية اجتماعية يمر بها الإنسان وعملية التعلم هي استجابة لمتغيرات بيئية جديدة تؤدي إلى تعديل وتغيير في سلوك الإنسان وتنظيم إدراكه واتجاهاته و تنقسم إلى 3 مجالات أساسية هي:

المجال المعرفي الإدراكي KNOWLEDGE COGNITION

لقد مرت المعرفة بمراحل كانت منها محدودة إلى درجة أن عالماً واحداً كان يمكنه أن يُلّم بعلوم ومجالات عديدة كالدين، الفلسفة، الطب، الرياضيات، الفلك.مع مر العصور تراكمت المعارف واتسعت العلوم وأصبح كل علم يشمل عدة فروع وكل فرع فيه تخصصات فرعية دقيقة. وكل يوم تُضيف مراكز الأبحاث ومعاهد العلم الجديد المزيد من الابتكارات والاكتشافات مما أدى إلى تضخم معرفي لا يمكن للعقل البشري استيعابه في تخصص واحد.

فينبغي أن يتوجه التعليم إلى كيفية الوصول للمعلومة والحصول عليها بدلاً من أن يحفظها ثم ينساها بعد فترة أو يجدها غير مفيدة لظهور الجديد الذي يفقدها قيمتها التطبيقية. فيجب التأكيد على الجانب المعرفي وقيمته التطبيقية بدلاً من الحشو الذي لا ينفع سوى إجهاد الطالب وحرمانه من وقت الفراغ للترفيه عن نفسه وممارسة الرياضة لبناء جسم صحي سليم بذهنية متقدة.

المجال المهاراتي SKILL PSYCHOMOTOR

هو مجال أداء المهام المختلفة للوصول إلى الهدف المطلوب حتى يتم استيعابه بشكل تلقائي كالطباعة على الكومبيوتر وتعلم تشغيل الماكنة الحديثة التي تعمل بموجب برامج الكومبيوتر وغيرها من آلات متطورة وقيادة السيارة وغيرها فكل ذلك يتطلب وجود المهارة فنتيجة تكرار العملية يومياً عندها يصل المتعلم إلى درجة التلقائية بالأداء من دون محاولة تذكيره بالتعليمات. فمثلاً عند قيادة السيارة أثناء التدريب أو التعليم الأولى يتطلب منه توقف السيارة إذا كلمه شخص إلى جواره لأنه لا يستطيع التركيز معه. ثم بعد حين ينتقل إلى مرحلة التلقائية والمهارة في أداء قيادة السيارة فيقودها وهو يتحدث إلى شخص يجلس بجواره دون أن يؤثر ذلك في قيادته للسيارة.

المجال الانفعالي والاتجاهات والقيم EMOTION ATTIDUDES &VALUES

ويُقصَد به الاتجاهات والقيم التي تحدد مواقف وأراء الشخص المختلفة ويمر المتعلم في هذا المجال بمراحل عديدة هي :

فكرة - إدراك – فهم – قيمة أو اتجاه – استحساناً داخلياً عن قناعة لا خوف – تقّبل. ثم تصبح القيمة مرتبطة بشحنة انفعالية ثم تأخذ مكانها في النظام الداخلي لقيم الشخص لتصبح جزء من تكوينه وميزاته الشخصية ذات البعد الانفعالي مثل احترام وإصغاء لرأي الكبار وتقبل الأفكار والمعرفة.

مستقبل مجتمع المعرفة:

تبشر الحقبة القادمة من تطور المعرفة عموماً والعلمية منها بشكل خاص بتأثيرات ونتائج سوف تكون أعمق وأشمل وأبعد غوراً من كل تلك الحقب التي سبقتها إذا ما تهيأت الظروف الملائمة.

ومن الواضح أننا على أعتاب ثورة علمية أخرى حيث تتضاعف المعرفة البشرية كل عشر سنوات وقد أنتج العقد الأخير من القرن العشرين على سبيل المثال معرفة علمية أكثر مما خلفه التاريخ البشري بأكمله، هذا فضلاً عن تضاعف قدرة الإنترنت مرة كل عام وتضاعف قدرة الكومبيوتر كل ثمانية عشر شهراً. وفي كل شهر تحمل لنا عناوين الصحف والمجلات العلمية أخباراً جديدة في مجال الاتصالات واستكشاف الفضاء والكمبيوتر والبيولوجيا وفي هذا الخضم الزاخر بالتحولات تتغير الصناعات وأساليب الحياة بكاملها وتفسح المجال لنشوء أنماط وأساليب جديدة ستسمح لنا بقطع ثمار ألفي عام من تقدم العلم من خلال الإمكانات والتطبيقات العلمية غير المحدودة التي ستمكننا من التحول من عصر الاكتشاف إلى عصر السيطرة والتحكم.

ومع أن الاهتمام بالمستقبل الذي شغل الناس منذ أقدم العصور، حيث كانوا (الكهانة) و(العرافة) و(قراء الكف والطالع والتنبؤ بالمجهول) هم من يرسم ويحدد المستقبل، إلا أن ذلك بقي في إطار الوعي الغيبي والأسطوري بالعالم، ولم يتحول إلى ميدان له معارفه وقوانينه إلا منذ فترة قصيرة نسبياً بعد لجوء البعض إلى الأبراج لأن الإنسان يتحفز بحوافز غيبية لمعرفة واقعه وطالعه

وذلك بسبب عجز تفكيره بمعرفة ذلك وذهابه إلى تحليلات ذاتية لا علاقة لها بالحقيقة عندها يتجه الإنسان للغيبيات ولا يتجه للتفكير العقلاني المتعلق بحياته الخاصة ووجوده وعلاقته بالآخرين ومصدر رزقه. واليوم الحديث عن (علوم المستقبل) أو (المستقبليات) التي تعمل على استشراق المستقبل عبر اجتهاد علمي منظم يهدف إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر لاستكشاف أمر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع أو أي ظاهرة معينه.

بهذا المعنى نميز اليوم بين التنبؤ الغيبي والتنبؤ العلمي، فالأخير لا ينبع من فراغ ولا يأتي تلبية لميول ورغبات، بل ينجم عن فهم الكون وأحكامه مستعيناً بالاستنتاج والقياس والحدس. وقبل كل ذلك بالتجربة ونتائجها القابلة للقياس والتعليل.

والواقع أن هناك إجماعاً شبه تام يظهر بين المشتغلين بالبحث العلمي (الجماعة العلمية) حول كيفية تطور المستقبل. وذلك لأن قوانين نظريات (الكم) QUANTUM THEORY وهذه النظرية طرحت عام 1900 ومؤسسها عالم الفيزياء الألماني ماكس بلانك وتعتبر أهم نظرية في الفيزياء الحديثة وواحدة من بين نظريتين أساسيتين تأسست اعتماداً على الفيزياء الحديثة وهما نظرية الكم والنظرية النسبية ولهذه النظرية الكثير من الانجازات والتطبيقات الملموسة مثل: اختراع الترانسسيستور، أجهزة التلفزيون، أجهزة الهاتف والكومبيوتر.

إضافة لإختراع الكمبيوتر و البحث في البيولوجيا الجزئية والتي أنجزت بشكل جيد، فأًصبح من الممكن للعلماء أن يتنبأوا بشكل عام بطرق واتجاهات التقدم العلمي في المستقبل، فالأعمدة الثلاثة للعلم هي المادة والحياة والعقل قد عُرِفت من خلال تحطيم نواة الذرة وفك شيفرة نواة الخلية الحية إلى جانب تطوير الكمبيوتر الإلكتروني.

وإذا كان التحول إلى قوة المعرفة والمعلومات مؤكداً، فإن معايير القوة التقليدية ـ الأرض ـ الموارد ـ القوة العسكرية ـ القوة الاقتصادية ـ لن تختفي ولكنها ستصبح ذات أهمية ثانوية.

لقد أدرك الأقوياء في عالم اليوم روح وآليات العصر، لذلك نراهم يتسابقون في مجالات تطوير البحث العلمي والبرمجيات وفي ميادين الاقتصاد المعرفي للاتصالات والذكاء الصناعي ففي هذه الميادين سيكون صراع الأقوياء الذي يبدو بأنه سيكون صراعاً تكنولوجياً وعلمياً في المقام الأول، فإذا أخذنا مجال البحث العلمي والتطوير على سبيل المثال باعتباره أحد أهم المؤشرات على إدراك دور وأهمية المعرفة في صياغة المستقبل، فإننا سنرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تتصدر دول العالم من حيث قيمة الإنفاق على البحث العلمي بمبلغ قدرة 179 مليار دولار، تليها اليابان بقيمة قدرها 133 مليار دولار ثم ألمانيا 55 مليار دولار، ثم فرنسا 36 مليار دولار وأخيراً إنكلترا بمبلغ 22 مليار دولار.

وتعود نسبة ضخمة من الإنفاق على البحث العلمي إلى قطاع الأعمال والشركات الكبرى، حيث ينفق القطاع الخاص في الولايات المتحدة ما قيمته 129 مليار دولار أي بنسبة 72% من إجمالي الإنفاق، بينما يصل إنفاق القطاع الخاص في اليابان إلى 88 مليار دولار وبنسبة 66% وتصل النسبة إلى 66% في ألمانيا و 65% في إنجلترا و62% في فرنسا.

أثر ثورة المعلومات على التطور الديمقراطي في العالم العربي:

إذا كان العصر الراهن هو عصر الحداثة فلسفياً، فإنه عصر المعرفة على صعيد العلم والتكنولوجيا وحيث أن ثورة المعلومات والاتصالات تشكل واحدة من أبرز ملامح مجتمع المعرفة البازغ مع تنامي ظاهرة العولمة في العقدين الأخيرين، فإن رصد الآثار والتجليات القائمة والمحتملة لثورة المعلومات والاتصالات على عملية التحول الديمقراطي في العالم العربي الذي قوى' المد الديمقراطي والذي شمل العديد من الدول والمناطق خلال ما سمي بالموجة الثالثة للتحول الديمقراطي سيبقى أمراً على غاية الأهمية.

فما هي انعكاسات هذه الثورة على نظم الحكم العربية؟ وإلى أي مدى يمكنها أن تشكل تحدياً للتسلطية ودعماً للانفتاح السياسي والتحول الديمقراطي في المنطقة؟ وما هي حدود تأثيراتها على بنية ودور المجتمع المدني في بلداننا، ثم ما هي نتائج كسر احتكار المعرفة من قبل الدولة، وكيف يمكن فهم دور التقنيات الحديثة في تأثيرها على الرأي العام؟

ينقسم الباحثون في الإجابة عن الأسئلة السابقة إلى موقفين أساسيين، يرى أصحاب الموقف الأول أن الانعكاسات التي تسببها الثورة العلمية في مجال الاتصالات والمعلومات باتت واضحة ومؤكدة ويصعب تجاهلها، بينما يرى أنصار الموقف الثاني أن آثار ونتائج هذه الثورة ما زالت محدودة التأثير وضعيفة الفاعلية لأسباب عديدة ووجيهة في رأيهم.

يستند أصحاب الموقف الأول إلى خبرات عديدة برهنت التكنولوجيا من خلالها على فاعليتها في التأثير على مجرى الأحداث. فمنذ ما يزيد عن خمسة قرون ساهمت مطبعة (غوتنبرغ) في كسر الاحتكار الكهنوتي للمعرفة عموماً وللكتاب المقدس بصفة خاصة، وبالانتقال إلى العصر الحديث يتضح الأثر الواضح لتقنية البرمجيات وإسهامها المباشر في نشر خطب وتعاليم قادة الثورات وأنصارها، وكان واضحاً الدور المركزي لأجهزة الفاكس في التغيرات التي شهدتها روسيا إبان (البروسترويكا) وصولاً إلى تمكّن أنصار العولمة البديلة من الاستفادة القصوى من البريد الإلكتروني والإنترنت في حشد الأنصار وتعبئة المؤيدين عند الحاجة إليهم لمعارضة عقد مؤتمر اقتصادي عالمي لا يلبي رغبات وتطلعات الشعوب أو معارضتها للحروب مثلاً. وهذه جميعها براهين تدلل بوضوح على الأثر البارز لوسائل الاتصال الحديثة والتقنيات المرافقة لها وعلى قدرتها على توجيه الأحداث وصياغة الرأي العام صوب اتجاهات جديدة في قضايا البيئة والمرأة والسلام وحقوق الإنسان ومناهضة الحرب الخ...

وبفضل ثورة الاتصالات والمعلومات أصبحت قضايا حقوق الإنسان ثقافة عالمية ونموذجاً إرشادياً (Paradigm) محكماً وذلك من خلال التشبيك (Networking) بين المنظمات المدنية المحلية ونظيراتها في العالم.

ولا يخفي هؤلاء إعجابهم بقدرة الفضائيات العربية وخصوصاً غير المملوكة للدول على تناول العديد من القضايا والمسائل الحساسة التي كانت تعتبر من المحرمات في المنطقة العربية وخصوصاً في ميداني السياسة والدين (نتيجة للتيار الديني الجارف والمدعوم من جهات مختلفة وتحت شعار المحرمات أصبح هو الغالب والمهيمن في وسائل الإعلام العربية الذي يعيق عجلة التطور والمعرفة) فضلاً عن الحوارات والمسائل الإشكالية التي تناقشها على الملأ وبدرجة كبيرة من الحرية والجرأة. وبصرف النظر عن التحفظات والانتقادات التي يمكن توجيهها لهذه الفضائية أو تلك، فمن المؤكد أن المشاهدين العرب قد عبروا عن حاجتهم إلى إعلام يتمتع بالمصداقية والمهنية ويمتلك شعبية واسعة دفعت ببعض المحللين إلى القول بأن تأثير بعض الفضائيات يفوق تأثير أحزاب سياسية عريقة بالية لا تفيد ولا تستفيد في العالم العربي إلا أن تلك الفضائيات تبقى بحاجة إلى تحسين أدائها وعرض برامجها لأنها لا تلبي حاجات المجتمع العربي حيث العديد منها تركز على عرض الأخبار والأحداث السياسية التي أصبحت تؤرق وتزعج المشاهد العربي لما فيها من مآسي وقتل وذبح وتهجير قسري وفساد وتحريض وإثارة الغرائز والعواطف والأدهى من ذلك إبراز العديد من المنجمين وقارئي الطالع والفال والأبراج وتوقعات هؤلاء لما

سيحدث من كوارث طبيعية وأحداث سياسية في المنطقة العربية وكلها لا حلول لها مجرد الحديث بالهواء الطلق والشهرة والتجارة، مما يشجع الإرهابيين على تنفيذ مخططاتهم وأحقادهم ضد هذا وذاك بنفس التوقيتات التي يتطرق إليها المنجمين وهذا مم يعزز من انتشاء ومصداقية المُتنبأ والمُنَجم بغض النظر عن الأضرار الناجمة عن ذلك الحادث أو تلك الكارثة. حيث أن تلك الفضائيات تفتش عن الربحية والشهرة وتحقيق أكثر مشاهدة من بين المحطات الأخرى فعلى المحطات الفضائية العربية أن تركز على عرض البرامج الثقافية والعلمية والاجتماعية والترفيهية أما فيما يتعلق بنتائج استخدام أدوات تكنولوجية جيدة مثل الهواتف النقالة والحواسيب والنشر الإلكتروني فلها أيضاً تأثيراتها الملموسة للمعرفة المستقبلية. لكن من المؤكد الآن أصبح سهولة الوصول إلى المعارف والمعلومات وتداولها ما يغير كسر احتكار المعرفة وفتح المجال واسعاً أمام القوة التمويلية والاقتحامية للتكنولوجيا بسلبياتها وإيجابياتها في آن معاً.

بينما يعتقد أصحاب الموقف الثاني بأن تأثيرات ثورة الاتصالات ما زالت محدودة وأن مردودها ضعيف على التطور السياسي والديمقراطي في عالمنا العربي لأسباب عديدة من أهمها: الموقع الهامشي للعرب على خارطة مجتمع المعلومات العالمي فعدد المواطنين العرب الذين يمتلكون القدرة على الوصول والنفاذ إلى الوسائل الإعلامية والمعلوماتية الحديثة ما زال محدوداً، فضلاً عن

الفجوة الرقمية (Digital Gap) التي تفصل بين من يمتلك المعلومة وإمكانية توظيفها وبين من يمتلكها بشكل جزئي ولا يسيطر عليها.

ويكفي أن نقارن بهذا الصدد بين ما يمتلكه العرب من مواقع إنترنت وأجهزة حاسوب بوصفها من المؤشرات الأساسية المعبرة عن الفجوة الرقمية، لنكتشف محدودية قدرتنا على الوصول إلى تقنيات المعلومات وتطبيقاتها. فمقابل كل 18 عربي من كل 100 من السكان يمتلكون حاسوباً ولا يزيد نصيب العرب من مستخدمي مواقع الانترنت عن 0.5 % بينما يشكلون 8% من إجمالي سكان العالم. هذا إلى جانب القيود المفروضة على الشبكة من قبل الحكومات، وقضايا الأمية ومعرفة اللغات الأجنبية وخصوصاً الإنكليزية إضافة إلى تكاليف الخدمة، ما يعني أن قطاعاً واسعاً من المواطنين العرب ما زال خارج دائرة القدرة على الاستفادة من التقنيات الحديثة وأن الاستخدام الحالي لها ما زال نخبوياً إلى حد بعيد. وهنا تبرز أهمية اللغة العربية وكيفية تطورها وتفاعلها مع اللغات الأجنبية الأخرى وتحديداً اللغة الانكليزية.

فيجب توجيه المزيد من البحوث لِنفَهم كيفية تفاعل اللغة العربية مع تطور التقنية الرقمية الجديدة من حيث التعرف والنطق والدلالة والاستثمار الأمثل لتقنية المعلومات والاتصالات من اجل بناء المعرفة في الوطن العربي ولابد من توثيق أواصر التعاون بين المؤسسات المعنية داخل البلدان العربية ومع شركائها على الصعيدين الإقليمي والعالمي.

تفسر هذه العوامل إلى جانب القيود القانونية والمالية والرقابية التي تفرضها البلدان العربية بنسب ودرجات متفاوتة وتدني إمكانية الاستفادة من مزايا التقدم العلمي التقني. فإذا ما أضفنا إلى العوامل السابقة جملة المشكلات البنيوية التي تعاني منها الأحزاب والتيارات السياسية وتنظيمات المجتمع المدني العربية والمتمثلة في ضعف قاعدتها الشعبية وابتعادها عن ممارسة الديمقراطية داخل تنظيماتها وفيما بينها الأمر الذي أضعف مصداقية الشعارات الديمقراطية التي تطرحها وأفقدها الكثير من البريق والفاعلية، فإننا نستطيع أن نتفهم تشاؤم أصحاب هذا الاتجاه إزاء قدرة تقنيات المعلومات والاتصالات على التغيير البنيوي في مسار التحول الديمقراطي والاجتماعي والمعرفي عربياً.

صحيح أن أثر التقنيات الحديثة مرهون بمستخدميها ومدى تمكنهم من توظيف إمكانياتها بكفاءة وفاعلية، ولكن الصحيح أيضاً أن لهذه التقنيات تأثير على أولئك المستخدمين من خلال مضامين ما تحمله من معارف وأفكار وما تنشره من أحداث ووقائع وما تتخطاه من حواجز وحدود وما تتخللها من يقينات وعقائد وما تتيحها من إمكانيات المقارنة والتفاعل. ومن هذا المنظور الجدلي فأني أعتقد أن لثورة المعلومات والاتصالات تأثيرات محتملة تفوق التوقعات المتشائمة من منظور كسرها لاحتكار الدولة للمعلومات، ومن خلال مفاعيلها الاقتصادية التي أسهمت بشكل واضح في إعادة تشكيل ملامح الاقتصاد العالمي وخصوصاً الاقتصاديات الجديدة القائمة على توظيف وإنتاج المعرفة بكفاءة الأمر الذي ينجم عنه قيمة مضافة تفوق بعشرات المرات القيمة

المضافة الناتجة عن الاقتصاد التقليـدي. وقـد بـات في حكـم المؤكـد أن النجـاح باقتصاد المعرفة والاستفادة من مزايـاه التنافسـية مرهـون بعمليـات الدمقرطـة وضمان حرية تدفق المعلومات وتعزيز المشاركة السياسـية للمـواطنين بوصـفها شرطاً لنجاح السياسات التنموية فغياب أو ضعف المشاركة يفسر فشل التجارب التنموية في بلداننا إلى حد بعيد.

وحيـــث أن ارتبـــاط الإبـــداع والابتكـــار (CREATIVITY) الفـــردي والمجتمعي بالحريات أصبح من الأمـور الثابتـة. فإننـا نسـتطيع أن نفهـم كيـف تشـكل الحريـات الأكاديميـة والمنـاخ البحثـي الملائـم عوامـل جـذب الكفـاءات والعقول التي تهجر مجتمعاتنـا وتـذهب إلى جامعـات الغـرب ومراكـز أبحاثـه، فضـلاً عــن الإغــراءات الماديــة والتســهيلات والتجهيــزات التــي توفرهــا تلــك المجتمعات. وذلك مقابل عوامل الرفض وتحديد الخبرات في مجتمعاتنا العربيـة وما ينجم عنها من ظاهرة هجرة الأدمغة (Brain drain) بكـل مـا تسـببه مـن إهدار للموارد البشرية وخسارة يصعب تقدير قيمتها الفعلية.

وتزداد المشكلة تعقيداً عندما يتلازم نقص الحرية مع نقـص المعرفـة كـما يبين تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني للعام 2003 مضيفاً للنواقص السابقة نقص تمكين المرأة الأمر الذي يرجح السيناريو المتشائم الذي يرى بأن العرب إذا ما استمروا في تعاطيهم الحالي سيكونون في أحسن الأحوال على هامش مجتمـع المعرفـة العـالمي. وتفيـد التقـارير والمعلومـات بهـذا الصـدد (إن المعرفـة تبـدو طريدة في البلدان العربية الآن حيث تقوم عقبات مجتمعية كالعادات والتقاليد

والمُحْرمات والممنوعات التي تحول دون قيام مجتمع المعرفة . ونخشى أن يؤدي دوام الاتجاهـات الراهنـة إلى تهمـيش دور المعرفـة في المجتمعـات العربيـة بمـا ينطوي عليه من استمرار تدني الرفاه الإنساني في الوطن العربي ويقلل من فـرص بناء التنمية الإنسانية في ربوعه).

وتأسيساً عـلى هـذا الفهـم أعـلاه تـبرز رؤيـة إسـتراتيجية تتضـمن أركـان مجتمع المعرفة الأساسية وفي أهمها: (إطلاق حريـات الـرأي والتعبـير والتنظـيم وضمانها بحكم القانون، والنشر الكامل للتعليم راقي النوعية، فضلاً عـن تـوطين العلم وبناء قدرات ذاتية في البحث والتطوير التقني، إعطـاء دور للمـرأة إبعـاد التيار الديني المتطرف والمسيس وصولاً إلى تأسيس نموذج معرفي عربي عام أصيل ومنفتح ومستنير).

ولا يقلل من شأن النتيجة السابقة برأينا تَمكنَ الـبعض مـن إنتـاج علمـي وتقني في ظل نُظم حكم قهرية بـل يعززهـا، فديمومـة التطـور تشـترط الحريـة لأنها الضامن لازدهار المعرفة في شتى مجالات الإبداع العلمي والتقنـي وأشـكال التعبير الفني والأدبي، فضلاً عن الارتباط بين نجاح التنمية البشرية المستدامة في تحقيق هدفها الاسـتراتيجي في الارتقـاء بنوعيـة الحيـاة (Quality of life) عـن طريق النمو الاقتصادي، وحفظ الموارد الطبيعية والبيئيـة، والتنميـة الاجتماعيـة وبين توفير وتوسيع نطاق الحريات فلا تنمية بلا مشاركة ولا مشـاركة فاعلـة إلا بتوفير حريات الرأي والتعبير والتنظيم.

خلاصة مما سبق إلى عدة ملاحظات ختامية:

إن مستقبل المجتمعات هو أن تساهم وتشارك في توظيف وإنتاج المعرفة بكفاءة في شتى مناحي الحياة. فالمعرفة ثروة و قوة في آن معاً. فمجتمع المعرفة يشكل مرحلة متقدمة من مراحل التطور الحضاري.

فالمداخل الأساسية للوصول إلى مجتمع المعرفة هي الإرتقاء بمؤسسات نشر المعرفة وأقصد المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والترجمة ودعم مؤسسات إنتاج المعرفة وهي مراكز الأبحاث والتأليف إضافة إلى مؤشرات مثل نسبة السكان الحائزين على براءات اختراع ونسبة المشاركة في النشر العلمي ومؤسسات البحث العلمي والتطور التقني.

تأريخ الترجمة عند العرب

عرف العرب الترجمة منذ القدم، وبدايتها برزت الحاجة إليها عندما كانوا يرتحلون للتجارة صيفاً وشتاءً ويؤثرون ويتـأثرون بجـيرانهم في مختلـف نـواحي الحياة ، فمثلاً عرفوا بلاد فارس وثقافتها حيث انتقلت بعـض الألفـاظ الفارسـية للغة العربية وظهـرت في شـعر كبـار الشـعراء مثـل الأعشى قـيس وغـيره لقـب بالأعشى لأنه ضعيف البصر، فالأعشى في اللغة العربية هو الذي لا يرى ليلاً، كان كثير الترحال والوفود على الملـوك مـن العـرب والفـرس مـما أدى ذلـك إلى كـثرة الألفاظ الفارسية في شعره.

إذن تأثروا العرب بثلاث ثقافات وهم الروم في الشمال والفـرس في الشرق والأحباش في الجنوب فوجدوا أن هناك حاجة ملحة للترجمة حيث من الصـعب القيام بتلك الصلات الأدبية والمعرفية والاقتصادية دون وجود الترجمة.

ففي زمن الدولة الأموية تمت ترجمـة الـدواوين، وتـلاه الـعصر العبـاسي. وبعد اتسـاع رقعـة الدولـة العربيـة نحـو الشرق والغـرب حيـث ذهبـوا بعيـداً واتصلوا باليونـان حيـث قـام العـرب بترجمـة علـوم اليونـان في الطـب والفلـك والرياضيات والموسيقى والفلسفة والنقد. وبلغت حركة الترجمة مرحلة متطورة في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه المأمون ويقال انه كان يمنح بعض المترجمين مبالغ كبيرة فمثلاً منح المترجم العربي الأول حنين ابن إسـحاق المولـود في الحيرة ما يساوي وزن كتبه المترجمة للعربية ذهباً.

من هو(حُنين بن إسحاق) هو عـالم درس الطـب في بغـداد ولـه مؤلفـات علمية في طب العيون وأقدم كتب مدرسي في تأريخ البحـث العلمـي في أمـراض العيون مثل (كتاب المسائل في العـين، كتـاب تركيـب العـين) ويعـد حُنـين ابـن إسحاق من كبار المترجمين في العصر العباسي وكان يجيد بالإضافة للعربية اللغـة السريانية والفارسية واليونانية حيث قام بترجمة أعمال أرسطو والعهـد القـديم من اليونانية إلى العربية وحفظت بعض ترجماته لأعمال بعض اليونانيين وغـيره من الضياع بعد أن ضاع أصلها اليوناني فيما بعد فأعيدت إلى اللغة اليونانية عن طريق اللغة العربية.

ومن المعروف أن المـأمون أسـس دار الحكمـة في بغـداد بهـدف تنشـيط والحفاظ على الترجمة ففي العصر العبـاسي ازدهـرت الترجمـة مـن العربيـة إلى اللغات الأجنبيـة حيـث أشـار بعـض المسـتشرقون إلى دور العـرب وعلـومهم في الحضارة الأوروبية.

أسس وقواعد الترجمة

من أسس الترجمة هـو نقـل المعنـى ولـيس نقـل الكلـمات حرفيـاً فعـلى المترجم أن يتعلم معاني الكلمات وقواعـد كـلا اللغتـين النحويـة لتظهـر ترجمـة جيدة وان يُبدع المترجم في إيجاد الكلمات الملائمة لهذا تعتبر الترجمة فناً وعلماً

الترجمة ودورها في بناء مجتمع المعرفة

تعتبر الترجمة مصدراً لتوسيع دائـرة الحـوار والمعرفـة وأنهـا فنـاً مسـتقلاً بذاته حيث يعتمد على الإبداع والحس اللغوي والقدرة على تقريـب الثقافـات. فالترجمة فنُ قديم فمن أقدم الأعمال الأدبيـة المعروفـة المترجمـة هـي ترجمـة ملحمة جلجامش من السومرية إلى عدة لغات، فالترجمة أشبه ما تكـون بحـوار حضارات وأداة لاكتساب المعرفة وأداة تعبير أيضاً. ولأنها نشاط اجتماعي فهـي تفيد المجتمع لكي يتفاعل مع ما هو جديد من المعارف والعلـوم المختلفـة كـما وأنها احد أسباب التقدم الحضاري. فبعـد احتكاكنـا بـالغرب ولـيس عنـدنا مـن الأقلام والأدمغة ما يفي بسد هذه الحاجات عندها بـرزت الحاجـة إلى الترجمـة فلنترجم ولنجلّ مقام المترجم لأنه واسـطة تعـارف بيننـا وبـين العائلـة البشريـة الكبرى، ولأنه يكشف لنا أسرار عقول كبيرة ومتطورة سبقتنا بكثير ولأنه يكشف لنا غوامض اللغة التي رفعتنا من محـيط صـغير محـدد غـالى محـيط نـرى منـه العالم الأوسع فنعيش بأفكار هـذا العـالم وتقدمـه ليسـاعدنا بـالنهوض بالمعرفـة والثقافة والعلم ونعيش آماله وأفراحه وإحزانه لكل ذلك يجـب ايـلاء الاهـتمام للترجمة والمترجم وتوفير المناخ الملائم لهما. ومع ظهـور الكومبيـوتر والـذي مـن الممكن اتخاذه كوسيلة مساعدة للترجمة أو استخدامه لترجمة بعض النصوص.

فهناك بديهيات غدتْ معروفة فيما يخص الترجمـة حيـث هـي أداة اتصـال دولي وحضاري ونحن العرب بأمس الحاجة إلى ترجمة الكثير من العلوم والأبحـاث التـي قـد لا يتـوفر منهـا إلا القليـل باللغـة العربيـة، فعنـدما تزدهـر الترجمـة

عندنا نحن العرب وبنسبة تقارب النسبة في بريطانيا التي تصل الى 15%
وأمريكا 15 % واليابان التي قامت بترجمة علوم الغرب قبل وأثناء نهضتها
العلمية. عندها نكون قد بدأنا بالسير علمياً وثقافياً في الطريق الصحيح. إذ أن
الترجمة والتعريب ركن من أركان العمل العلمي الذي يمكن أن يسهم فعلياً في
تطور المجتمع العربي و إغناء المعرفة الإنسانية لذلك لابد للترجمة أن تتم في
إطار مشروع مدروس بعناية ووضوح يرتبط بواقع احتياجات مجتمعاتنا
العربية وفق الخطوات التالية :

1. ضرورة ارتباط عملية الترجمة والتعريب بالبحث العلمي وحقول المعرفة المختلفة الأخرى العلمية، الأدبية، الفنية وغيرها.
2. إنشاء مراكز للترجمة من والى اللغة العربية لتَنْقل الانجازات الثقافية والعلمية التي حققتها الأمم المتقدمة ودعم تلك المراكز مادياً ومعنوياً وكذلك دعوة المفكرين والباحثين لمختلف الاختصاصات بالعمل جنباً إلى جنب مع المترجمين وحثهم على إصدار نشرات دورية عن الأعمال المترجمة ونشر المطبوعات العلمية الصادرة في العالم.
3. دعم وتشجيع المدارس والمعاهد التي تمارس وتُدّرس الترجمة والتعريب لتقوم بدورها على نحو أفضل، وتأسيس أقسام للترجمة من والى لغات عالمية لتأهيل مترجمين.

4. ضرورة التنسيق بين المجاميع اللغوية والعلمية ودعمها بقصد التعاون والاتفاق على صياغة مصطلحات موحدة يتم اعتمادها وتعميمها في أرجاء الوطن العربي.
5. اعتبار الأعمال المترجمة على أنها جهوداً علمية.
6. إصدار مجلات تختص بالترجمة والتعريب لكل حقل من حقول المعرفة لغرض نشر الثقافة العلمية الحديثة للباحثين والمهتمين.
7. دعم المترجمين بالمكافأة المالية بما يتناسب والجهود المبذولة. حيث إن الدول المتقدمة تخصص ميزانيات كبيرة من اجل نشر لغاتها وآدابها في أرجاء العالم كافة.

آملين أن نولي نحن العرب مسألة الترجمة ما تستحقه من جهد ووقت وتفكير ودعمها من اجل إسهامها في عملية التطور الحضاري واللغوي.

هجرة الكفاءات

لدى العرب طاقات إبداعية كبيرة مهدورة بسبب غياب المناخ المناسب الذي يضمن الحريات البحثية والأكاديمية والترجمة. كما وبسبب ضعف العمل المؤسساتي في ميادين إنتاج ونشر المعرفة الأمر الذي يدفع بالعديد من الكفاءات إلى الهجرة.

تشكل هجرة الأدمغة والعقول واحدة من أخطر الظواهر فهدر الموارد والإمكانيات يتجلى فيها بأوضح صورة وهي خسارة مزدوجة تزيد من الهوة أو الفجوة المعرفية التي تفصل مجتمعاتنا عن المجتمعات المتقدمة.

العرب أمام فرصة وتحدٍ بنفس الوقت، والنتيجة مرتبطة بما سنفعله الآن وفي المستقبل، فالمستقبل ليس مكاناً نذهب إليه بل خياراً نصنعه بأنفسنا اعتماداً على كيفية استثمارنا لطاقاتنا وعلى قدرتنا على الاستفادة منها ومن تجارب الآخرين.

معاناة مجتمع الشباب العربي وأسلوب تفكيره

الفكر: هو استعمال البصر والرؤيا والكشف عن الذات في الأشياء وتأملها لاستنباط مفاهيمها المعنوية واستخراج مقاصدها التطبيقية، والفكر مصدر مهم لنهوض كل امة.

التفكير: في اللغة هو ترتيب الأمور في الذهن وتوظيفها لفظاً أو كتابةً في تلك اللحظة أو تخزينها في الذاكرة والاحتفاظ بها لاستظهارها لاحقاً وقت الحاجة وهو أيضاً المعالجة الذهنية للتصورات الآنية والمستقبلية ومواجهة جميع الاحتمالات للوصول إلى هدف محدد وهو تشكيل خيار واتخاذ قرار قبل الشروع في العمل.

من هنا يمكننا القول إن درجة قوة المعرفة والوعي وتطور الفرد وتَعلمهِ هي أساس لإقتدار المجتمعات التي تضمن مستقبل هذا المجتمع أو ذاك والاهم من ذلك هو الاعتماد على فئة الشباب لكلا الجنسين للحيوية واليقظة التي يتمتعون بها. فعلينا استنفار واستنهاض هممهِ وعزائمهِ لدفع التحدي وبغية تحقيق المستحيل أو على الأقل الصعب المنال. فلو أخذنا الأسس التي يبنى عليها المجتمع المتطور والمتمثلة بـ:

إن يكون لديه درجة متقدمة في سلم المعرفة، مستوى جيد من التربية والتعليم، مستوى جيد من الوعي الاجتماعي، يقظة الضمير الفاعل المتفاعل مع المواقف والظروف والظواهر الاجتماعية المختلفة مثل تبادل الآراء (قبولاً أو رفضاً) اتجاه المواقف الخاصة أو شريحة اجتماعية وتحديد حضوره بإبداء رأيه لتسجيل وجوده والبحث لنفسه عن مكان في المجتمع وتحديد موقعه من هذا التيار أو ذاك كأن يكون (علماني، ديني، متسامح أم لا، حيادي، معتدل)....الخ فهذه المقومات الفكرية والسلوكية الاجتماعية بشكل عام لا تخص شريحة اجتماعية دون سواها أو فئة عمرية دون أخرى.

لكن تبقى فئة الشباب وهي صلب موضوعنا دائماً المسؤولة الأكثر في إطار السلوك المدني السوي والتصرف الحضاري والثقافي القويم لأن قوام كل مجتمع يعتمد على شبابه ويعّول على فكره وحيويته بالدرجة الأولى إلا أن شباب المجتمعات العربية اليوم يعيش على حلم اليقظة والوعي المبعثر وتيه الفكر وهذا يعود لأسباب عديدة منها التربية الأسرية، طرق التعليم، وسائل الأعلام المسيس أو المتطرف، واستخدام وسائل الانترنيت والتكنولوجيا الحديثة بصورة خاطئة.

فالشاب الذي ينشأ في الأوساط الميسورة المترفة يعتاد على ابتزاز الأسرة عن طريق إغداقه بالهدايا المادية والعينية عندها ينشأ على قاعدة الأخذ دون العطاء وعدم بذله مجهود ذهني وتفكير شخصي يفيده بنتيجة ايجابية.

أما الشاب الذي ينشأ بين الفئة الوسطى والذي تمتاز مسيرته بالكفاح والتضحية بالوقت والجهد وصرف النظر عن الكماليات من اجل ضمان الضروريات والحصول على عمل منا سب ومقبول يتناسب وجهده ولكن فئة قليلة من هؤلاء تتمكن من اختراق المأمول. فيما البقية تتبخر آمالها قبل الوصول لأهدافها.

أما الشاب الذي ينشأ في وسط اسري محرومة ثقافياً حيث تشيع الأمية فيها ويكافح الأبوين معاً على توفير الحد الأدنى من العيش وحسب مقتضيات اللحظة واليوم. هذه الفئة ومنذ البداية يضعون أنفسهم بعيداً عن الحياة المدرسية مما يجعل إدماجهم في دينامية العملية التربوية التعليمية صعب وشبه مستحيل ويمكن تسمية هؤلاء الفئة من الشباب(بمجتمع الهامش) ويمكن أن نطلق عليهم عشاق(زاوية الظل) في الشوارع والاستناد على الحائط وتكتيف الذراعين ويغلب على هؤلاء الهشاشة الاجتماعية والفقر والتصدع الأسري.

واخيراً ثلة من الأخيرين والأولين يتعاطون المخدرات ويعتقدونه كحلٍ سحري يُقلبْ أوجه الحياة خلال لحظات تأثير المخدرات تعويضاً عن الفاقة والحاجة المادية. بينما يبقى شباب الطبقة الميسورة يبحثون عن سد الثغرة الأسرية العاطفية.

من زاوية أخرى يلاحظ ميول بعض الشباب إلى الزهد والقناعة بالقليل والرضى بالواقع وعيّنة تتأثر بالفكر الإسلامي السلفي المتطرف والتيارات الدينية المتطرفة الأخرى والمُدونة بكتب مضى على تأليفها عدة عقود بل قرون

والوقوع بأسرْ أفكارها وآرائها. وهنـاك عينـة أخـرى تقـع تحـت تـأثير القنـوات الفضائية الموجهة ذات توجه فكري محدد كالدينية وإصدار الفتاوى العشـوائية وتصفح مواقع الانترنيت التي تمنع وتعيق كل ما يفيد ويطـور آفـاق ومسـتقبل الشباب. مما يجعل ذلك الشاب سجين ذاته وتفكيره ضمن مرجعيـاتهم الدينيـة المتطرفـة والسـائدة حاليـاً في مجتمعاتنـا العربيـة. مـع محدوديـة تعليمهـا ومستواها الفكري على التكييف مما تساهم تلك الأفكار الدينية بدعم وتشـجع الإرهاب والانتحار وثقافة التفجيرات الانتحارية.

وهناك فئة تسلك الهجرة السرية نحو أوروبـا والعـالم و لا تعلـم أو تعـي ماذا سيواجهها من مصير.

مجتمع اقتصاد المعرفـة

إن من أسباب الانتقال لاقتصاد المعرفة هو كونه اقتصاد السرعـة الفائقـة المقترن بتكنولوجيـا الأعـلام والاتصـال ووسـائله هـي: الأقـمار الصـناعية، البريـد الالكتروني،SKYPE وغيرها و تبقى المعرفـة الوسـيلة الأساسـية لتحقيـق كفـاءة عمليات الإنتاج والتوزيع وتحسين نوعيته.

كما أكدنا مراراً وتكراراً أن للتعليم والثقافـة دوراً مهـماً بتعزيـز آفـاق المعرفة المختلفة وتطور المجتمعات اجتماعيـاً وثقافيـاً واقتصـادياً فهنـا تلعـب مؤسسات التعليم المتطـورة ولكافـة المراحـل الدراسـية دورهـا بتهيئـة القواعـد الأساسية لإيجاد مجتمع اقتصاد المعرفة.

الأهداف الرئيسية للتعليم

1. عرض الإبداع، المرونة، الابتكار، طريقة تفكير المجتمع.
2. إنشاء نظام للتعليم مدى الحياة لجميع المواطنين.
3. تشجيع المدارس على إدماج التكنولوجيات الجديدة قي مناهجها الدراسية.
4. القضاء على الأمية في المجتمع بالطرق الحديثة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
5. تشجيع الدراسات العليا والبحوث والجودة في القدرات البحثية والكفاءة العلمية وتوفير المطبوعات والنشرات الدولية وتذليل الصعوبات وتوفير الحلول لتلك المجالات.
6. وضع نظام لإعتماد برامج التعليم عن بعد.
7. تشجيع الجامعات والمدارس وهيئاتها التدريسية، وتهيئة البنى التحتية للتعليم عن بعد.
8. دعم وتطوير المناهج الدراسية للتعليم عن بعد.
9. مجتمع اقتصاد المعرفة يعتمد في نموه على مزيج من أربعة عوامل مستقلة هي:

إنتاج المعرفة، بث المعرفة، نشر المعرفة، واستخدام المعرفة في مجال الابتكار التكنولوجي فالدول النامية ومنها الدول العربية بحاجة إلى استثمار المزيد من التكنولوجيا والتعليم والتي تتم عن طريق:

اندماج التكنولوجيا والتعليم

- يجب أن تكفل السياسات العامة تهيئة الفرص لجميع الطلاب من الوصول إلى التكنولوجيا والبرمجيات القائمة على البحث عبر الانترنيت وغيرها من وسائل حديثة تتيح للفرد الوصول للمعلومة.

- دمج التكنولوجيا في التعليم وطرق التعلم المختلفة.

- تعزيز ثقة الفرد بنفسه بالبحث وإضفاء الطابع الشخصي بالتعلم من خلال التحول التكنولوجي وماهيأ ذلك من وسائل متاحة لكل الأفراد.

- زيادة ودعم الموارد المالية لتهيئة وإعداد الكوادر من معلمين ومدرسين وأساتذة واختصاصيين بوصفهم عنصراً حيوياً ومهماً لضمان اندماج التكنولوجيا بشكل مناسب وفعال وإيصال المناهج الدراسية الحديثة التي تنسجم ومتطلبات العصر الحديث.

تطوير التعاون الفعال والوثيق بين الجامعات والصناعة

- من خلال المعارف والخبرات التي تمتلكها الجامعات يمكن أن تغذي وتدعم وتطور الصناعات.
- إن تمنح الجامعات والمؤسسات الرسمية حق الملكية الفكرية.
- تشجيع البحوث القائمة والتي تدخل في الصناعة.

تنقل الطلاب والمدرسين والباحثين

يجب على السياسات العامة تشجيع التنقل بين الجامعات والمؤسسات التعليمية داخل الوطن العربي وخارجه مثل أوروبا وأمريكا والدول المتقدمة الأخرى لإكتساب المزيد من الخبرة وتبادل المعلومات والتوافق وتأكيد مبدأ الشفافية في النظم التعليمية للتعرف على المزيد من مؤهلات وإمكانيات الطلاب والباحثين.

الابتكار والتحديث

لتعزيز اقتصاد المعرفة يجب التركيز على الابتكار والتحديث في إعادة ودراسة النظم التعليمية للتعامل مع التوقعات الحديثة السريعة والملحة الخاصة في النظم التعليمية والتقدم التكنولوجي.

ظهور توقعات جديدة

إلى جانب مهمة الجامعات الأساسية في التدريب والبحث والتي يجب عليها تلبية الاحتياجات الجديدة في مجال التعليم والتدريب التابعة والمستندة على الاقتصاد القائم على المعرفة والمجتمع وذلك عن طريق:

- الحاجة المتزايدة للتعليم العلمي والفني.
- توفير فرص التعليم للجميع ومدى الحياة.
- المشاركة الفعالة والوثيقة في حياة المجتمع.

من خلال ما تقدم من ملاحظات وآراء وأفكار ومعالجات التي يمكن تلخيصها بفهمنا لدور التنمية والتطور، والتقدم والتخلف، والعولمة، والريادة، وكيفية اكتشاف القيادات والإدارة واكتشاف المهارات وغيرها من عناصر وسياقات مهمة لتحقيق وتعزيز المعرفة واقتصاد المعرفة.

للتنمية والتطور نبض مثل نبض الحياة وكلتاهما لا تعرف التوقف أو الاستراحة أو الهدف النهائي. فتنمية الدول وتطويرها بالصورة الصحيحة لا يمكن أن يحدثا صدفة بل من خلال الجهد المتواصل لخدمة المجتمع وفروع المعرفة(الاجتماعية، الاقتصادية). هذه مهمة كبيرة تتطلب من الحكومات العربية وجميع الناشطين في القطاعين الخاص والعام النهوض بها وبذل المزيد لتطوير الأداء، زيادة الكفاءة، توسيع الخدمات، توسيع الأسواق، تحسين التعليم، تحسين الخدمات المقدمة لتعزيز قدرات الدول التنافسية في ظل المتغيرات السريعة التي تعيشها في هذا العالم السريع والمتغير.

والآن وفي المستقبل القادم يجب أن نحقق كل الأهداف التي تضمن للشعوب العربية دوام التقدم والازدهار من خلال ما تقدمه هذه الدولة أو تلك من انجازات وحضارات لأن التأريخ يصنعه الإنسان بنفسه ولا ينتظر أن يكتب عنها التأريخ الذي لا يرحم الضعيف ولا يجامل القوي من هنا على الشعوب العربية وحكوماتها أن تعي وتفهم وتدرس مقومات التقدم والنهوض وكيف أن يكونوا بالطليعة.

التقدم والتخلف

رغم ازدهار وتتطور العرب لفترات طويلة في زمـن الدولـة العباسـية ومـا تلاها، إلا أن ظاهرتي التقدم والتخلف ضـلتا متنـاظرتين. فـالتخلف ظّـلَ مرتبطـا بنيوياً بمرحلة التبعية السياسية والثقافية والمعرفية والاقتصادية والاجتماعيـة في ظل الهيمنة الأجنبية، فهي ظاهرة موضوعية تعني الفشـل أو القصـور في تبنـي الأنمـاط الجديـدة مـن الفكـر والسـلوك والقصـور أيضـاً في الإمكانيـات الماديـة والمعنوية والسياسية والعلمية الذي بدوره يؤدي إلى عدم إمكانيـة تـوفير الخـير والرفاه الاجتماعي والاقتصادي للمواطنين. ومن مظاهر التخلف:

1. ضيق ولاءاتنـا واقتصـارها عـلى الحـاكم والـوالي وغيرهـا مـن مسـميات، وتأصيل الفردية والعشائرية والقبليـة والعمـل عـلى ترّييـف المدينـة في عقلية المواطن العربي.
2. النفاق الاجتماعي.
3. عدم احترام عاملي الزمـان والمكـان في تنظـيم حايتنـا اليوميـة وعلاقاتنـا الاجتماعية، وعلاقاتنا الثقافية الاقتصادية والتجارية والمعرفية مع العالم.
4. تفشي الأمية.
5. التفسير اللاعقلاني للكثير من الظواهر اليومية.
6. انعدام وعدم الالتزام بالقانون والنظام.
7. النظرة الدونية للمرأة وضعف مساهماتها وعدم إعطائها دوراً في البنـاء الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي.

8. انعدام الديموقراطية وحرية التعبير عن الآراء والأفكار.
9. عدم إعطاء دوراً لمنظمات المجتمع المدني.
10. انتشار الفساد في المجتمع والمؤسسات الحكومية.
11. التطرف الديني وابتداع مفاهيم وقيّم من المحرمات والممنوعات الغير موجودة في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى. فقط موجودة في عقول رجال الدين وأصحاب الفتاوى وذلك لغايات تسويقية تجارية لبيع كتبهم وطلباً للشهرة وغايات عدائية عقيمة غير منطقية لا احد يفهمها غير رجل الدين نفسه مبرراً ذلك بوجود نصوص وآيات قرآنية التي لا وجود لها إلا في كتابه وتلك تساهم وتسبب تسميم عقول الناس وبث الفرقة بين أفراد المجتمع الواحد متذرعين هؤلاء بأن غير العرب والمسلمين فهم كفار يجب محاربته والقضاء عليهم.

أما التقدم فهو:

1. النظرة العلمية المتطورة للطبيعة ولحياتنا اليومية الاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية.
2. التركيز والتحفيز للخلق والإبداع وذلك بإعطاء دوراً للمبدعين وتبنّيهم وبكافة المجالات.
3. اعتماد الديموقراطية في كافة مجالات الحياة للتعبير عن الآراء والأفكار بحرية ومساهمة المواطنين في صياغة واتخاذ القرارات.
4. تطبيق النظام والقانون لتنظيم حياة الناس.

5. محو الأمية.
6. إعطاء دور للمرأة وزيادة فرص مشاركاتها في مجالات مختلفة.
7. إنهاء حالة التبعية وردهم الهوة الحضارية بين المجتمع العربي والمجتمعات المتقدمة.
8. السيطرة على مواردنا الطبيعية والبشرية.
9. القضاء على الفساد بكل أشكاله.
10. احترام عاملي الزمان والمكان.

من هنا فأن لم نكن في الطليعة فسنكون في الخلف وان لم نكن في المقدمة فأننا نتنازل عن مكاننا الطبيعي لصالح أمم ودول أخرى.

فالتخلف الاقتصادي والمعرفي ليس مجرد تراجع فقط بل وصفة مسمومة لموت بطيء يصيب ويشل التنمية بكافة أشكالها وعندما تتوقف التنمية ينضب النبع الذي يسقي الشعوب عندها تنشبْ فيها الأزمات وينهار الأمن والاستقرار وتتقوض الأساسات التي ترتفع فوقها الأمم ويسود فيها التسلط والظلم والفساد وبدون أن تعي تخسر خلال سنوات قليلة من الركود معظم النمو الذي كسبته على مدى عقود كثيرة.

ففي العالم اليوم نرى دولاً تتمتع بقوة عسكرية جبارة لكنها ليست بمصاف الدول المتقدمة علمياً ومعرفياً لأن قوتها المعرفية والعلمية والاقتصادية ضعيفة، بسبب الترسانة العسكرية التي استنفذت كل إمكاناتها الاقتصادية.

وعنـدما ننظـر مـن موقعنـا الحـاضر إلى المـاضي سنكتشـف أن العـرب لم يكونوا قوة عسكرية متقدمة على كل اقرآنها بل كـانوا قـوة اقتصـادية وبحريـة أيضاً كما فعلها الفينيقيون, واليونانيون، والرومان قبلهم وكـما الـدول الأوروبيـة في العصور القارب إلينا وأمريكا الآن.

فمثلاً عندما خرج الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لإختيار مدينة فلم يختْر مدينة بغداد لحصانتها وسهولة الدفاع عنها أو لشن الحروب على الآخرين بل لأنها كانت على مفترق الطرق التجارية والبحرية آنذاك (فهذه دجلـة لـيس بيننا وبين الصين شيء ويأتينا منها كل ما في البحر وتأتينـا المـيرة والمـواد الأخـرى من الجزيرة و أرمينية وما حول ذلك، وهـذا الفـرات يجـيء منـه كـل شيء مـن الشام والرقة وما حول ذلك).

يبقى الاقتصاد عصب الحيـاة في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل. فهنـا يـأتي التحدي فإذا واجهنا تحدياً يتطلب إيجاد الحل واتخاذ القرار فأمـام العـرب أمـا أن يأخذوا فكرة مسبوقة ويتبعوها، وإما تُسْـتفزْ هممهـم وقـدراتهم الإبداعيـة وطاقاتهم العقلية وتطويرها كفكرة جديـدة وعمـلاً جديـداً ولكـن يجـب عـلى العرب أن يطمحوا إلى المزيد والأكثر وان لا يكونوا تابعين ولأجل هذا نعتقـد إن اقصر طريق للوصول إلى المستقبل المشرق الذي تطمح إليه الدول العربيـة هـو طريق الريادة في التنمية والتقدم من خلال البحث عن الأفكار، والمقارنات بتلك وبالأخرى.

فـالمجتمع العـربي مـليء بالمبـدعين وذوي الكفـاءات العاليـة وذي رغبـة وتصميم على تقديم الأفضل وان يكونوا عـلى رأس فريـق العمـل أو في صـفوفه لكنهم بحاجة إلى من يوجه ويـدير هـذه العجلـة وهـؤلاء المبـدعين مـن خـلال تطوير الموارد البشرية وتوسـيع عمليـة القـدرات التعليميـة والخـبرات وخاصـة الشباب لكلا الجنسين لأنهم هـم الـثروة الحقيقيـة ومفتـاح النجـاح في الحـاضر والمستقبل.

فمن واجب السياسيين والمسؤولين في الـدول العربيـة أن يتبنـوا ويعـززوا القدرات القيادية لدى مـن تتـوفر فـيهم الكفـاءة والإبـداع وإعـدادهم لقيـادة مختلـف المؤسسـات الاجتماعيـة والاقتصـادية والمعرفيـة والعلميـة والبحثيـة. فالمجتمعات العربية تعيش بـين مجتمعـات مـتحضرة متسـارعة متسـابقة فيهـا السباق المحموم لإقتناص الفرص وتحقيق النجاحات والتطـور فـالفرق بـين مـن يقتنص هذه الفرص ومـن يضـيعها كـالفرق بـين البقـاء والديمومـة وبـين البقـاء والفنـاء. فعلينـا أن نسـتبق الآخـرين لاقتنـاص الفـرص التـي يمكـن أن يوفرهـا (الاقتصاد الجديد) وعلينا أن لا نتماشى معه فقط لأن التماشي سيجعلنا متلكئين ومتأخرين أحياناً فالمواكبة لا تعني السبق أنها تعني السير مـع الآخـرين وهنـا أين التقدم؟؟

فيجب أن نأخذ بزمام الأمور وان نأخذ الأولوية ولابد أن نكـون بالمقدمـة وان لم تفعل الأمة العربية ذلك فستفوتها الفرص الكبـيرة ولـن يبقـى لنـا سـوى الفتات.

هنا يبرز الاهتمام بالريادة ففي فترة من الفترات كان العرب امة صاغرة راضية. ثم تغيرت أحوالهم فَعلا مجدهم ونشطت تجارتهم وعمارتهم وعلومهم ومعرفتهم وفنونهم وصناعتهم. فالريادة في السلام والحرب، الإرادة، العلوم، العمارة، التجارة، الطب، الصناعة، المعرفة والترجمة فكانت الحضارة العربية على مدى ألف عام حضارة التميز والريادة.

من سيحقق الريادة في الاقتصاد الجديد؟ أنها الدول التي تتمتع بالقدرة على إتقان استغلال الفرص الجديدة التي يقدمها الاقتصاد الجديد من معرفة، وتقنيات، وحداثة وجعلها بمتناول الجميع. فعلى الحكومات العربية وأصحاب القرار السياسي وأصحاب القطاعات التجارية والصناعية والخدمية أن يعملوا على استحداث قوانين وتسهيلات جديدة لاعتماد وتطبيق الحكومة الالكترونية لكي تتمكن مجتمعاتنا العربية تحقيق النجاح والتميز لأن أهم ما في الاقتصاد الجديد واقتصاد المعرفة هو الفكرة التي تنفذ في وقتها. صحيح هناك طاقات وأفراد يفهمون الكومبيوتر والبرمجيات والانترنيت والتجارة الالكترونية لكنهم لم يتمكنوا من التفكير بعقلية الاقتصاد الجديد السريع.

ولتحقيق الريادة علينا نحن كمجتمعات عربية وحكومات أن نغير أو نحدث على الأقل من العديد من مفاهيمنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية تجاه الأمم والأديان الأخرى وتشذيب بعض من عاداتنا وسلوكياتنا وجعلها تتماثل مع المتغيرات السريعة الهائلة من توفر المعلومة

والمعرفة لكل فرد والتي أصبحت بمتناول الجميع والاهم من ذلك تغيير المناهج الدراسية لكافة المراحـل وجعلهـا تتوافـق مـع المتغـيرات الجديـدة الحاصـلة في العالم.

العولمة والاقتصاد الجديد

بعضنا افراداً ورؤوساء وحكومات ومـنظمات ومؤسسـات وغيرهـا يقفـل الباب على نفسه والنوافذ والستائر ويطفيء النور ويسأل في ظـلام دامـس أيـن هــــي العولمة؟؟ لا أرى شيئاً. هذه من السلبيات التي يجـب أن نقتلعهـا مـن عقولنا ونطرحها جانباً.فالعولمة آتية شئنا أم أبينا. ففي العولمة الصـالح والطـالح فلنأخذ منها الصالح بهدف أساسي هو تقليص الفجوة الكبيرة بيننا وبـين الـدول الصناعية المتقدمة.

العولمة: هي بيئة التعامل الدولي السائد حالياً ولهـا مرتكـزات اقتصـادية وإنتاجية ومعرفية ومعلوماتية متميزة. فالعالمية في التجـارة والاقتصـاد والعلـوم والمعرفة والتَنَورْ سيأتي بالنفع العام لمجتمعنـا العـربي كالشـمس متاحـة لجميـع البشر ولكل إنسان الحق في التمتع بنورها. فالجلوس في الظـلام والعتمـة يعنـي إننا نتنازل عن حقنا للآخرين ونعطي الخير والتقدم الذي نستحقه لغيرنا.

فاقتصاد المعلومات له القـدرة عـلى تفعيـل الاقتصـاديات الأخـرى لصـنع عصر اقتصادي عالمي جديد يجب أن نستفيد منه لأنه يقوم على تقنيات فائقـة السرعة يحقق القفزات السريعة. والاقتصاد الجديد لا يعرف الحدود الجغرافيـة و السياسية والمعرفيـة.

اكتشاف القيادات

على صاحبي القرار والحكومات والمؤسسات العلمية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية العمل على اكتشاف وإيجاد المناخ الملائم لظهور القيادات في كافة المجالات رغم أن القيادة من أصعب المواضيع لأنها تتطلب مواصفات وظروف بيئية واجتماعية وسياسية لظهور القائد فليس كل من تخَرج من جامعة كبيرة وشهيرة يصبح قائداً. فالصعوبة تكمن بوجود ملكات، ووراثة، وفطرة، وحكمة، وخبرة، وطاقات وجذور، وعلم و ثقافة.

فهناك بعض القادة لعب الواقع والتاريخ دوراً مهماً في صنعهم وآخرين من يصنع هو الواقع والتاريخ بحنكته ورجاحة عقله ومنهجه القيادي.

ويجب أن نميز بين قائد إداري (C.E.O) ورجل الأعمال.

ومن خصائص القيادة هو أن يقود من الأمام وليس من الخلف، أن يكون واسع الرؤيا، أن يتحمل المسؤولية في النجاحات والفشل، أن يتشاور ويتحاور، الثقة بالنفس، المعرفة وسداد الرأي، وان تتوفر لديه القدرة العقلية والبدنية لإنجاز مهامه، ولديه القدرة على التعبير وإيصال المعلومة بطرق سهلة سلسة بعيدة عن الأفكار المعقدة والمبهمة لأنها مضيعة للوقت وحتى لا يترك المجال مفتوحاً للتأويل والتفسير، له القابلية على الإقناع، وان يكون قدوة ورمز للمجتمع وبالذات شريحة الشباب.

الإدارة

الإدارة علم قائم بذاته يُدَرس من خلال إقامة الدورات والمحاضرات والاطلاع على خبرات الغير لذا فالدول المتقدمة تضع تخصيصات مالية ضخمة من اجل تهيئة الإداريين الكفؤين للنهوض بالواقع السياسي والاقتصادي والتعليمي والمعرفي والثقافي والخدمي وغيرها من مجالات أخرى.

فلو توفر الإداري الجيد والمعرفة في مجتمعاتنا العربية لتوفر الخير والتقدم في مناحي حياتنا المختلفة.

جزء من معضلتنا في العالم العربي هو أن هدف الكثير من القرارات والقوانين ليس خدمة مصالح الشارع العربي وتحسين أحواله الاقتصادية والمعيشية، بل إرضاؤه والعزف على الكلام الذي يرغب بسماعه الموطن(الأفضل هو منح الشعوب ما تحتاجه وليس ما تريده) هذا هو الدواء المعرفي التنموي الذي يحتاجه مجتمعنا العربي وليس المخدِر الذي يستمر مفعوله فترة مؤقتة قبل أن يعود الشعور بالألم لصاحبه.

المهارة

هي أداء المهام المختلفة وصولاً لمستوى الفعل الهادف المطلوب حتى يتم استيعابها بشكل تلقائي.

رغم أن الآلة ورأس المال هما العاملان المهمان والأساسيان في تحقيق الازدهار والتقدم لكن يبقى الإنسان هو الأهم فعند عدم توفر الإنسان الماهر لتشغيل الآلة ستتوقف ثم نحتاج إلى خبرات أجنبية من الخارج أو بلد المنشأ

لتشغيلها. فيجب استخراج القدرات والطاقات الخلاقة والعمل على إعداد أجيال ماهرة مؤهلة تأهيلاً علمياً وبمواصفات عالمية وفي مختلف التخصصات والمعارف الإنسانية المعاصرة وإتقان التعامل مع التقنيات الحديثة وتوفير بيئة تعليمية تحفز البحث والابتكار والإبداع.

فالحديث عن الاستعداد للمستقبل معناها تميز، مهارة، قدرات، استقلالية بالتفكير، صقل الخبرات في الإنسان العربي لبناء مخزون من الموارد البشرية الماهرة القادرة على التعامل بكفاءة وحرفية مع التحديات التي تواجه مجتمعاتنا العربية. وهنا يجب الاهتمام بالشباب لقيادة حركة التنمية والنهوض بالمعرفة والثقافة وغيرها مع الاستمرار بالوقت نفسه بجذب أصحاب المهارات والمواهب والاختصاصات الدقيقة لإثراء الخبرات وصنع الفرص وتطوير الاقتصاد القائم على المعرفة.

الجودة والامتياز

نحن نعيش واقعاً يتغير بسرعة وأمامنا نحن العرب تطورات علمية وتكنولوجيا سريعة علينا أن ندركها جيداً ونستعد لها الاستعداد الكامل والمناسب ونستجيب لها بفعالية وجدية. لأن حقائق الواقع ليست هي الوحيدة التي تتغير بل الخيال، والأمل، والرؤية عند الإنسان أيضاً تتغير. وهذا التسارع في المتغيرات ولأجل تحقيقها بشكل جيد تفيد مجتمعاتنا العربية وتعزيز المعرفة وتحقيق الجودة والامتياز هي بإيجاد مؤسسات وكوادر وتهيئة مستلزمات للقيام

بدورات تدريبية وبرامج والاتصال بـالخبرات وأصحاب الاختصـاص في الميـادين المختلفة كالإدارة، الاقتصاد، التقنية وغيرها.

ولأجل تحقيق الامتياز والجودة علينا أن نعزز وننشر ثقافـة تلـك الصـفة بين الناس وجعلها جزءً من ثقافتهم ومعرفتهم وتكـوينهم الـنفسي أي يجـب أن نعمم تلك الثقافة في كافـة أرجـاء وطننـا العـربي مـن القـرى النائيـة إلى المـدن الكبيرة مما يخلق ذلـك روحـاً مـن التنـافس فـيما بيـنهم عـلى امـتلاك الأفضـل والأجمل والأكثر اتقاناً في كل شيء. كما موجـود لـدى المسـتهلك الأوروبي حيـث اعتاد الجودة في الصناعات منذ قرنين أو أكثر ولو هناك تفاوت بدرجات بسيطة فيما بينها إلا أن الصناعات الألمانية، البريطانية، الفرنسية، الايطالية المتفوقة على مثيلاتها في عموم أوروبا، هذا مما انعكس عـلى المسـتهلك العـربي حيـث يشـعر بالاطمئنان والثقة وفخر عنـد شراءه سـلعة آو مـادة مكتـوب عليهـا صـنعت في ألمانيا مثلاً و أصبحت لدى البعض جزءً من ثقافتـه. والسـبب في ذلـك يعـود إلى جودة تلـك البضـاعة فـنحن نطمـح أن تكـون صـناعاتنا العربيـة تحمـل نفـس المواصفات والثقة بأن نكتب عليها صنع في العراق، الأردن، دبي، مصر...الـخ لـكي يعتـاد عـلى الامتيـاز ويصـبح جـزءً مـن سـلوكه وتفكـيره في التجـارة والصـناعة والزراعة في البيت والعمل والمدرسة وغيرها وان ترتبط الجودة بحياتهم.

وإذا أصـبح الامتيـاز هـو السـائد والطبيعـي في حياتنـا فـأن العلاقـة مـع اللإمتياز تدريجياً ستنقطع وستصبح مثالاً على التخلف والارتـداد ويجـب علينـا

أن نزرع الأفضل والأمثل والمميز في عقول الناس، وتكون للجميع مصلحة كبيرة ودائمة لأجل المحافظة على استهلاكهم واستثماراتهم.

الآفاق والرؤى المستقبلية

يمكن آن نلخص رؤيتنا ومفاهيمنا والتي على الحكومات العربية عمله من اجل النهوض والازدهار بالمعرفة بالنقاط التالية :

1. تعزيز التنمية من خلال منتجات التكنولوجيا المبتكرة والمُصَدرة.
2. دعم تطوير ثقافة الابتكار من خلال تشجيع التفكير الإبداعي في المدارس وبكافة مراحلها.
3. ضمان استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المناهج الدراسية وعلى جميع المستويات.
4. خلق وعي عام على أهمية التعليم مدى الحياة.
5. تخصيص الميزانيات المالية وتوفير رأس المال ومشاركة القطاع الخاص من شركات وأصحاب المشاريع ورجال الأعمال.
6. التعاون المستمر بين الدول العربية ودول المنطقة بتبادل المعلومات من اجل تطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
7. ربط هيئات البحث العلمي العربية بنظم الإنتاج والخدمات كما في الدول الصناعية المتقدمة.
8. إيصال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قبل وبعد المدرسة والتعليم الابتدائي والثانوي، فأن توفير استعمال الكومبيوتر لمرحلة ما قبل المدرسة

للأطفـال بطـرق علميـة وصـحية سـينمي لـديهم الابتكـار والإبـداع، واليـوم الأطفال يمارسون الكومبيوتر وال (I PAD) والألعاب الأخـرى قبـل دخـولهم المدرسة.

- 9. العمل على تأسيس اتصالات انترنيت لجميع المدارس.
- 10. إنشاء قاعات ومختـبرات للحاسـوب (الكومبيـوتر) في المـدارس وعـلى كافـة المراحل وعلى أساس الحد الأدنى(جهاز حاسوب واحد لكل 15 طالب).
- 11. توفير التدريب الأساسي لتكنولوجيا المعلومات للقائمين والمدرسين والعـاملين على تطبيقه.
- 12. استحداث وظائف جديدة تتماشى مع متطلبات المعرفة.
- 13. التنقل بين الباحثين والمعلمين والطلاب لإكتساب المزيد من المعرفة.
- 14. إنشاء معاهد ومدارس لتدريس الموسيقى بأشـكالها التراثيـة، الكلاسـيكية، الحديثة كوسيلة تعليمية للإطلاع على تأريخ وثقافـات وفنـون الشـعوب. والاهتمام بالفنون بأشكالها وفروعها لما لهـا مـن دور بتركيـب الإبـداعات المتعلقـة بالتخيـل والوجـدان والإبـداع كـما في الحضـارة العباسـية التـي أعطت نبراساً مهماً للعالم الإسلامي والعالم بفن العمارة والتي انتقلت إلى اسبانيا وغيرها ومن إبداعات عصرنا الحديث النحات العراقي جواد سليم بنصب الحريـة المعـروف وسـط بغـداد الـذي جسـد فيـه رغبـة الشـعب بالحرية مما حدا بالأمم المتحـدة الاحتفـاظ بنمـوذج مصـغر عنـه لـديها، والنحات العراقي إسـماعيل فتـاح الـترك بتصـميمه نصـب الشـهيد الـذي

جسد فيه روح الشهيد وهـي تصـعد إلى السـماء عنـدما شـطر القبـة إلى قسمين وتوسطها العلم العراقي الـذي يرمـز إلى الشـهداء الـذين سـقطوا أثناء الحرب العراقيـة الإيرانيـة، ولا نـنسى فنـان عصر النهضـة الأوروبيـة الفنان الايطالي (ليونارد دافنشي) وهو رسام، نحات، معماري، عالم وكانـت مكتشفاته وفنونه نتيجـة شـغفه الـدائم بالمعرفـة والبحـث العلمـي ولـه أبحاث علمية في علم التشريح، البصريات، ومـن روائعـه لوحـة المونـاليزا والعشاء الأخير الذي جسد بتلك اللوحات وغيرهـا عظمـة ونتـاج أوروبـا، وعند زيارة قصور فيينا عاصمة النمسا يلاحظ الزائـر كيـف جسّـد فنـانوا النمسا هندسة العمارة بالقصور الملكية الرائعة الجـمال وأطّـروا جـدرانها بلوحات رائعة وجميلة تعكس لما وصل إليه فن الرسم والزخرفة في عموم أوروبا مستغلين الدعم والحريات آنذاك والزائـر لـقصر فرسـاي البـاريسي يشاهد قاعـات وأروقـة الـقصر مزينـة بلوحـات جداريـة ضـخمة تجسـد مرحلة تاريخية وثقافية من حكم الملـك لـويس السـادس عشر. كـل تلـك الانجازات الفنية الرائعة التي حدثت في أوروبا بمراحله(الفن البـاروكي ثـم الروكوكو في فرنسا ثم الفن الفكتوري) ما هي إلا انعكاس وترجمة لحقبة ثقافية ومعرفية التي وصلت إليها تلك الحضارات وتبـادل الثقافـات فـيما بينها.

15. إنشـاء معاهـد ومـدارس لتـدريس الثقافـات الخاصـة ببلـداننا وفهـم والاطلاع على الثقافـات الأخـرى لأنهـا تـثري وتزيـد الفـرد مـن معلوماتـه

عن تفكير ونمط حياة المجتمعات والعمل على علاج ثقافاتنا وعـدم تركهـا هشة تعتمد على اجترار الماضي والاعتماد عـلى الثابـت لا المتحـول وعـلى الإتبـاع لا الابتـداع. والتركيـز عـلى المعرفـة بأشـكالها التـي وصـلت إليهـا الشعوب الأخرى.

16. إيجاد المزيد من معارض الرسم بفروعه التشكيلية والانطباعية والتجريديـة وغيرها.

17. تعليم الفرد العربي على التخطيط ورسم المستقبل عند التفكير بأي مشروع مستقبلي وكيفية وضع لمساته وتفاعله مـع الحيـاة والتـي تبـدأ بالمخيلـة - الأمل - التخطيط....الخ.

18. اعتبار السينما والمسرح وصالات العرض الأخرى كمصدر ثقافي ومنـاخ مهـم للمعرفة، وليعيش الشباب العربي مرحلته بكـل تفاصـيلها، وتشـجيع كتابـة الرواية وبالانكليزية (NOVEL) حيث كنا اسبق الناس إليها فوجـدنا فيهـا مجالاً واسعاً لوصف الحياة والتـأثير عـلى العقـول والقلـوب. إلا أن الغـرب أولى اهتماماً واسعاً بالرواية حيث أقام لها المعاهـد والمؤسسـات والمسـارح لتصبح جزءاً من حياته اليوميـة كـما تفعلهـا المسـارح البريطانيـة والعالميـة التي تتغنى وتفتخر بمؤلفات وروايات شكسبير العالميـة التـي تـدرس لحـد الآن في المعاهـد والجامعـات العربيـة والعالميـة لأنهـا تمثـل أمـام القـارئ والمشاهد على المسرح مشاهد من حياة يعرف ألفها وياءها، لذا يقـتضي أن نشجع كتابنا على توجيه أنظارهم إلى الحيـاة بأفراحهـا وأتراحهـا، وجمالهـا

وقباحتها، وشرها وخيرها، وان يجدوا فيهـا مـواد لاقلامهـم وهـي غنيـة لـو علموا كيف يبحثون عنها.

- 19. إطلاق وتوسيع الحريات اجتماعياً، ثقافياً،اقتصادياً، معرفياً والعمل عـلى تأسيس المجتمع المـدني ومـنح حقـوق للمـرأة ومشـاركتها في البنـاء وايـلاء الاهتمام بحقوق الإنسان وحرية الرأي والفكر.
- 20. العمل على عدم السماح وتهيئة المناخات التي من شأنها أن تغذي التطرف والكره للآخر وتوجيه القنوات الفضائية بعدم تأجيج واللعب عـلى مشـاعر الشباب باتجاه التطرف بل استغلال طاقاتهم في البناء والتقدم.
- 21. العمل عـلى تخفـيض رسـوم اشـتراك الانترنيـت وأسـعار الهواتـف الحديثـة ليتسنى للجميع استخدامها.
- 22. العمل على إنشاء وادي التكنولوجيا.
- 23. العمل عـلى إنشـاء الشـبكة الدوليـة للمعلومـات والسـعي إلى رفـع نسـبة استخدام الشبكة الالكترونية.
- 24. إقامة مدن انترنيت كما في دبي، لبنان، وتسعى الأردن للوصول لتحقيق هذا الهدف.

نحن والغرب

بسبب السياسات الدكتاتورية والأنظمـة الشـمولية وانعـدام الديمقراطيـة وعدم الاهتمام بالفكر والأدب والثقافـة والمعرفـة وغيرهـا مـن عوامـل سياسـية واجتماعية واقتصادية كلها أثرت على واقعنا الثقافي المعرفي مما جعلنا أن نرجـع

إلى الغرب بعد أن كان في وقت من الأوقات تلميذنا، ولحد هذه اللحظة هناك ممن يَدّعون الثقافة والمعرفة ومن والأدباء ما ينظرون إلى ماضينا فيرونه محاطاً بهالة من السؤدد والمجد والعظمة ويجترّون عبارات ترددها ألسنتهم بشكل آلي (بلادنا مهبط الوحي ـ بلادنا مهد الإنسانية) إلخ فإرضاءاً لخواطر هؤلاء علينا أن نحوك قمصاناً كالتي كان يرتديها أجدادنا، ونرجع فنشّيد أسوار بابل أو دعونا نرجع إلى بغداد نُحي عصر العباسيين فنختار لنا واحداً من بيننا مكان هارون الرشيد. ولو علموا هؤلاء أية ويلات يجرّونها بذاك على تلك الأمة التعسة التي تنظر إليهم كقادة لأفكارها فهم لا يخدمون ماضيهم وثقافتهم وتراثهم ولا الحق والواجب الملقى على عاتقهم. ولابد من أن يخرج من هذه الأمة المنقادة إلى الضلال ولو قلائل يكشفون النقاب عن أعمال هؤلاء المُدّعين.

دعونا نجد كوادر تقود صفوفنا قبل أن نعطي العالم كوادر، دعونا قبل أن نُعّلم العالم نجد بيننا من يُعلّمنا، دعونا قبل أن نوقظ الآخرين من سباتهم نفتش عن صوت ينادينا بين الآونة والأخرى (هبّوا).

مرت بنا أجيال فأجيال نطرق بجباهنا ونقرع صدورنا وننتظر السعادة والتقدم أن تنزلا إلينا في سلة من السماء، وماذا حل بنا؟ حل بنا ما يحل بمحراث من الحديد مهمل في الحقل دون استعمال بغلاف سميك من الصدأ على عقولنا وقلوبنا فعدنا نتعجب كيف لا نرى النور والشمس مشرقة. فعلينا ان نضع المحراث في النار ليحمر كالجمر ونطرقه بالمطارق كي لا يبقى الصدأ عليه وحينئذٍ إذا أشرقت عليه الشمس لا تزيده إلاّ بهاءاً ولمعاناً.

- فيجب أن لا نقول إننا نيام والغرب مستفيق.
- فيجب أن لا نقول إننا أموات والغرب حي.
- فيجب أن لا نقول أن لا مواهب عندنا مثله.
- فيجب أن لا نقول إننا من طينة والغرب من طينة أخرى.

فما هو هذا الغرب؟ هو ذلك التطـور والحداثـة التـي تتـدفق مـن أفـواه علمائـه وكُتابـه ومثقفيـه والتـي تعـد التربـة الصـالحة لنبـت الجديـد الصـالح، والإخلاص في أقوالهم وأفعالهم، اما نحن ابتلينا بالرياء والمداهنة والتزلف وحب المجد الفارغ فالإخلاص مزية نبذناها وهـي أسـاس الحيـاة، فهـدمنا حياتنـا و لا نزال نـؤمن أننـا شـعب حـيّ والأدهـى مـن ذلـك لا تفـاهم بيننـا وان تفاهمنـا فنتفاهم بألسنة لا واصل بينها وبين القلوب، بالإجمال لو كان عنـدنا إخـلاص في ما نقول ومـا نفعـل ومـا نكتـب، لـو كنـا نفهـم بعضـنا الـبعض لكانـت حياتنـا ومستقبلنا على غير ما هـو اليـوم، فـنحن قـوم لا يـدفعنا إلا سـوط الحاجـة ولا نطلب من هذه الدنيا سوى بقائنا في قيد الحياة كأن الحيـاة أكـل وشرب ونـوم فقط.

مقاييس المعرفة والعلوم والأدب والفنون

ففي المعرفة والعلوم والأدب والفنون مقاييس تتجاوز الزمان والمكان فما هي هذه المقاييس؟

لكل منا حاجاته ورغباته وتطلعاتـه. بـل لكـل امـة حاجاتهـا ولكـل عصر حاجاته ايضاً. غير أن من هذه الحاجات ما هو مقيد بالفرد أو بالأمـة وظروفهـا

الزمانية والمكانية. وهذه تتقلب وتتغير ومنها ما هو مشترك بين كل الأفراد والأمم، فتلك الحاجات والمعرفة هي المقاييس الثابتة التي يجب أن تقاس بها المعارف والعلوم والأدب وما تنتجه كل امة ومن أهم تلك المقاييس باعتقادي هي:

ـ حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل والعقد النفسية : من رجاء ويأس، فوز وإخفاق، إيمان وشك، حب وكره، لذة وألم، حزن وفرح، خوف وطمأنينة، اتهام وتكفير الآخرين، وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات.

ـ حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة، ألا وهو نور الحقيقة ــ حقيقة ما في أنفسنا ، وحقيقة ما في العالم من حولنا.

ــ حاجتنا إلى الجميل في كل شيء، ففي الروح عطش لا ينطفيء إلى الجمال وكل ما فيه من مظهر من مظاهر الجمال، وان اختلفت أذواقنا في ما نحسبه جميلاً وما نحسبه قبيحاً، لا يمكننا التعامي عن أن في الحياة جمالاً مطلقاً لا يختلف فيه اثنان.

ـ حاجتنا إلى الموسيقى والفنون ففي الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان، فهي تهتز لقصف الرعد ولخرير الماء ولحفيف الأوراق، لكنها تنكمش من الأصوات المتنافرة والروح تأنس وتنبسط بما تآلف منها.

هذه بعض من حاجاتنا المشتركة. وهي معنا في كل حين فهي وان تنوعت في الناس بتنوع الأفراد والشعوب والأزمنة والأقطار، لا تتنوع بجوهرها بل

بدرجة شدتها وقوة شعورنا بها وثمنها وأغناها حقيقة فهذه بعض المقاييس التي يجب نقيس بها معرفتنا وعلومنا وأدابنا.

المعرفة ودور المثقف العربي وأنظمة بما يسمى(الربيع العربي)

هناك أسئلة عديدة علينا تفسيرها التي تخص موضوعنا (المعرفة) وهل قدمت ثورات بما يسمى (الربيع العربي) شيء للمعرفة والحداثة وما هو دور المثقف العربي بتلك المهمة التي هي من صلب مهامه فالأسئلة عديدة منها :هل الثورة انتهت؟، هل ساهم المثقف العربي بدور ايجابي لإنتاج وتطوير المعرفة؟، هل استطاعت تلك الثورات في صناعة تأريخ جديد للمجتمعات العربية وما هو الطريق الذي ستسلكه أنظمة الربيع العربي في صناعة معرفة جديدة قائمة على الأحياء الفكري والمعرفي في عصر تتطور فيه التكنولوجيا ونظم المعلومات؟ وقبل هذا وذاك علينا أن نُعّرف من هو المثقف؟ وبداية استخدام صفة المثقف؟

بداية استخدام مصطلح المثقف:

الأدبيات المعرفية تشير إلى أن بداية استخدام مصطلح المثقف كانت مع استخدام مفهوم العقيدة المذهبية (الإيديولوجية) وذلك في عام 1796 وهو بداية تحديد الحقل المعرفي المُعّبر عن العقيدة المذهبية العامة للأفكار، ثم استعمله نابليون بونابرت الذي أضفى عليه نوع من الشك معبراً بذلك عن المعارضين السياسيين الذي سماهم (بالعقائديين) بعده جاء ماركس وانجلس فأضافا إليه

معايير ومعاني اجتماعية ونظرية وسياسية ووصـفا المثقفـين بـأنهم يمثلـون احـد أوجه (البرجوازيين) الذين ربطوا أنفسهم بالطبقة العاملة وهؤلاء طرحوا أفكـاراً توضح أهدافهم وطموحاتهم من ثم جاءت العقيدة الألمانية الحديثـة فأضـافت لمضمونه البنية الفكرية ومن بعد هؤلاء جاءوا رواد علم الاجتماع الذين أعطوه الصفة المعرفية ودور المعرفة والعلوم في تكوين شخصية المثقف ومن ثم القيـام بدوره في التنمية الاجتماعية وعلم اجتماع المعرفة.

المثـقف يُعد مثقفاً هو عند قراءته مواضيع متنوعـة عليـه أن يكـوّن رأيـاً خاصاً أو تشكيل صورة عن قراءاته، لأن القراءة وحدها غير كافيـة بـل التفاعـل مع مفرداتها وأفكارها وأحكامها وبراهينهـا ومـن ثـم الحكـم عليهـا مـن خـلال قناعاته الشخصية. وليس هذا فحسب لأن القراءة والمطالعة الانسـيابية لا تمـنح صـاحبها صـفة المثقـف بـل تـوفر لـه الإرادة والعـزم عـلى التفكـير بالأحـداث والتطورات التي تدور حوله. والمثقف يجب أن يكون مستقلاً برأيه و طروحاته.

إن التخصص العلمي والأدبي والتدريب والتأهيل التقني وحدها غير كافية لكي يُعّد هذا الشخص مثقفاً بل هناك ظـروف وصـفات مترابطـة التـي تكونـت عـبر تنشـئته الأسريـة والمدرسـية، والمجتمعيـة هـي التـي تـرسي بـذور الثقافـة وتسقيها وتغذيها بمعارف الأحداث الجارية عندئذٍ تنمو وتترعرع وتصقل ثقافـة المثقف لأن النفس البشرية والعقل الإنساني لا ينمو أن إلا في التفاعل مع الآخـر المتبـاين والمختلـف والمتعـارض والمتنـوع معهـما وهـذه هـي طبيعـة الإنسـان. فالمجتمع المتطور والمتقدم نقيض المجتمـع السـاكن والـراكن والمنعـزل، فتـأريخ

الإنسانية والمجتمعات البشرية ترينا وتخبرنا أن السكون والركود والانعزال ما هي إلا فترة مرحلية مؤقتة وليس أبدية لأن السكون ضد الطبيعة البشرية وهو الأمر الذي يدفع بتلك المجتمعات إلى الصراع مع القيود الجامدة لتنطلق إلى الحركة الدائبة لكي تنمو وتتطور وتتقدم.

من هو المثقف في المجتمعات الحديثة

المثقف: هو الذي يتفاعل ويتعامل مع الأفكار والثقافات المختلفة مما تجعله يقترب من قاعدة فروع من علم الاجتماع السياسي، التحليل الطبقي وعلم اجتماع المعرفة. فلو أخذنا أو تطرقنا إلى دور المثقف العربي فسنجد أن هناك نوعان من النخب الثقافية:

1. نخبة ثقافية مدركة للمتغيرات الحاصلة بالعالم وعلى كافة المستويات.
2. نخبة ثقافية غير مدركة للمتغيرات.

وهناك رأي آخر لتحديد من هو المثقف ألا وهو الشخص الذي وُهِب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، فلسفة، وجهة نظر أو رأي، أو تجسيد أي منها فبهذا الدور وبهذه الرسالة يقتضي على المثقف أن يجابه بشجاعة المعتقدات التقليدية والإيديولوجيات الراكدة لإعلاء شأن حرية الإنسان ومعرفته لأنها هي الهدف الأساسي لنشاط المثقف إلا أن المثقفين يواجهون صعوبات جمة لتحقيق أهدافهم وممارسة دورهم لأنهم يتأثرون بأفكار الجماهير ونزعاتهم وصناعة الإعلام والمعلومات ولا يقدرون على مقاومتها إلا بمنازعة السلطة ورواياتها وتبريراتها وجبروتها. فلا مفر للمثقف إلا الدخول بمعترك السياسة

للتصدي للأفكار المقولبة والزيف المتحيز التي تفرضها السلطة عبر وسائلها الإعلامية وهنا ليس بالضرورة أن ينتقد السلطة الحاكمة بل عليه أن يبقى في حالة من اليقظة الدائمة، الحماسة المتقدة، الرغبة المتجددة في التصدي للأفكار والإيديولوجيات المُغيبة والعقائد والأفكار المتشددة.

وهنا نصل إلى أن دائرة المثقفين تتسع لتشمل كل من يعمل في حقل إنتاج المعرفة ونشرها والتأكيد على قيم الحرية والحق والعدل وسعة اهتمامه والاهم أن يبتعد عن المصالح المادية والشخصية وعلى المثقف إلى جانب هذا أن يرفض الامتثال للأفكار الجاهزة والصيغ المتداولة والمتملقة للأنظمة وان يحاذر التبعية للسلطة التي هي الشرك الكبير لكينونة الحياة الفكرية والأخلاقية لأي مثقف وان يحافظ على استقلاليته وتطوره لكي يكتشف أموراً جديدة ويحدثها على ضوء الواقع المتجدد.

إلا أن الخطأ الواقع به الكثير من المثقفين هو إنكارهم للواقع ومعطياته نتيجة تأكيدهم على معتقدهم الفكري مما يدعوهم إلى عدم التغيير والتعديل أو التزييف لكي يتلائم بما يعتقدوه ويدْعون إليه.

وهذا الإنكار لما ينتجه الواقع والنظر إليه بصورة مشوهة أو سيئة الذي اقترفها المثقفين بمجتماعتنا العربية على اختلاف أنواعهم كالبيروقراطي الذي يستخدم أدوات مستهلكة في أفكاره مما سببت تراكم المشكلات، والمثقف النخبوي الذي يحيا داخل أوهامه النظرية التي أدت إلى عزلته وهامشيته، والمثقف النضالي الذي أنتجت تجاربه الثورية مزيداً من الاستبداد والتخلف،

والمثقف الأصولي الذي أنتجت أفكاره الإرهاب والتطرف والقتل والدمار. وهؤلاء جميعهم ركزوا على عبادة النصوص والأصول والمراجع ليفتكوا بحيوية مجتمعاتنا.

ادوار المتثقفين

1. دور المثقفين في الدول النامية : يكون دور المثقفين هنا دوراً سلبياً تجاه ما يجري من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية ومعرفية، و لا يكون لهم دوراً فعالاً في الأنشطة السياسية، ولا توجد جماعة أخرى تقوم بتوعية وتعبئة شعوبهم.
2. دور المثقفين في البلدان المُستَعّمَرة : في هذا الدور تكون الحاجة إليهم من قبل الأُسر النبيلة والملكية والأميرية عندما لا يكون لها نفوذ وسلطان يُذكر بسبب ضعف سلطتها تحت ظل الاستعمار مما يجعلها في وضع مهين ومخجل أحياناً وليس لهم المجال لممارسة أنشطة عقائدية أو تشكيل حركات سياسية، أو عندما تواجه معارضة سياسية. عندها تطالب بطبقة المثقفين ليس تثميناً لهم بل لحاجتهم لها بتعزيز حكمهم والحفاظ على امتيازاتهم النبيلة في الثروة والسلطة.

فأن انحسار دور المثقفين في المجتمعات النامية يعود إلى عدم حاجة الجماهير لهم لأن اغلبهم لا يملكون الوعي السياسي والثقافي والمعرفي، ولأن معظمهم أُميون. ولكن بعد انخراط قسم من الجماهير في الأنشطة السياسية و

إنتباهم لما يدور من حولهم وخضوعهم للإثارات والتحريضات السياسية خلال مرحلة السيطرة الأجنبية الاستعمارية هنا تبرز الحاجة إلى طبقة المثقفين.

لكن هذه الحاجة لا تُستثمر بعد حصول المجتمعات النامية على الاستقلال السياسي. بل تتوقف الحاجة إليهم وحتى القادة الوطنيون لا يستعينون بهم. وإزاء هذه الحاجة المتأرجحة عند الجماهير للمثقفين يتبلور شعور عندهم (المثقفين) بأنهم خارج مهمتهم ووظيفتهم التعبوية مما يدفعهم إلى أن يقفوا موقف المعارض لنفوذ الحاكم الوطني.

فالمثقف عليه البقاء خارج المسؤولية الإدارية والبيروقراطية ليبقى دوره إرشادي إشرافي توعوي لأجهزة الدولة والمجتمع ومصالحه الاقتصادية والاجتماعية والثقافي والمعرفية أي يكون ارتباط المثقف بالمجتمع من خلال تسخير إمكانياته الثقافية من (وعي وتنظير وموضوعية وأخلاقية ورؤيا مستقبلية) لخدمة المجتمع فتبقى الحاجة للمثقف للاستعانة به مثلاً في تطوير المناهج الدراسية التي بحاجة ماسة لتطويرها التي تنسجم وحالة التطور الحاصل بالعالم لدفع عجلة التغيير، فبهذه الطريقة الهادفة تبرز وظيفة المثقف المتميزة وتتجلى قدرته المبدعة عندما تحتاج المجتمعات والحكومات لحل مشاكلها التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعرقية والدينية والطائفية لأنهم أي المثقفين على عاتقهم أدواراً نظرية للإسهام بحل تلك المشكلات وترك الحلول العملية لأصحاب المناصب الرسمية.

فمهمة المثقف العربي هـو تحلـيلاً للواقـع وفهمـه للوصـول إلى صـيرورته ومساراته الصحيحة، أي ليست هجاء ومديح وتقبيح العـالم الآخـر عبثـاً لإرضـاء السلطة والمواطن العربي. والخطأ الواقع فيه المثقف العربي هو أن يقول للقارئ ما ينتظره منهم كما نقول لأبوينا عند الصِـغر(مـا يخـالف الحقيقـة) خوفـاً مـن التأنيب، فعلى الكاتب والمثقف العربي أن يراجع أفكاره دائمـاً عـلى ضـوء حركـة الواقع وايلاء الاهتمام لعاملي الزمان والمكان، فعليه أن يكون :

1. متحرراً من ضغوط السلطة ورموزها.
2. متحرراً من ضغوط رجال الدين والمساجد والكنائس.
3. أن يكون متحصناً باختصاصه الثقافي واعتباره الاجتماعي.
4. آن يكون حراً في التعبير عن مواقفه وميوله الثقافية.
5. أن يستغل خبرته وموهبته كقاعدة للاتصال بين السياسي والجماهير.

المقومات الأساسية للمثقف

عدم التعصـب والتحـزب، يتعامـل مـع الأحـداث الاجتماعيـة والتاريخيـة بنزاهة وموضوعية وحيادية، وينظر للظروف المحيطة به ومجتمعه نظرة علمية متنوّرة.

صفات المثقف

أخيراً من خـلال مـا تقـدم عـن المثقـف وشخصـيته يمكننـا مـن أن نـوجز ونوصف المثقف بالصفات التالية:

1. لماحاً ذهنياً
2. طموحاً علمياً
3. ملتزماً أخلاقياً
4. متطبعاً اجتماعياً
5. ذواق جمالياً
6. منسقاً منطقياً
7. مؤدياً ثقافياً

فالمثقف العربي دوره يتمثل بإنتاج ودعم المعرفة وتوجيه وقيادة المجتمع وبما أن العالم العربي بشكل عام يتراجع في إنتاج المعرفة فالمثقف العربي عليه أن يبتعد عن الوصاية بوصفه مالكاً للحقيقة وليس عليه أن يبقى يفكر انه يقود الجماهير بل عليه أن يكون جزءً منها فكلما كانت فكرته مرتبطة بالحركة الجماهيرية وتطلعاتها كانت الفكرة عملية وقابلة للتحقق رغم كل الصعوبات والقيود .

أنواع المثقف

1. المثقف الناقل: هو الذي يقوم بترجمة ونقل المعرفة بأنواعها العلمية والاجتماعية والاقتصادية إلى المتلقي العربي أي لم يساهم في العملية الثقافية والمعرفية التي تنسجم وحاجة المجتمع العربي بل تقليد ما هو موجود في أوروبا وأمريكا.

2. المثقـف الـتراثي: هـو المثقـف الـذي يـبرز ويؤكـد عـلى آراء ونظريـات مفكرين عرب قدامى مثل (ابن خلـدون والفـارابي) وغـيرهم وهـذا النـوع مـن المثقفين عملوا على إعادة إنتاج الثقافة العربية بموجب قواعـدها الأصـولية والى إلغاء الموروثات الغربية والتي أصبحت تلك الأفكار لا يوجد من يصغي إليهـا في ظل الانفتاح والعولمة وثورة المعلومات حيث المتلقي الآن يبحث عـن المعلومـة والمعرفة الحديثة التي تنسجم والتطور الحاصل في العالم.

3. المثقف الناقد: هو الذي ينتقد من اجل النقد دون تقديم معالجـة أو بديل، ودائماً يكون سلبي تجاه مجتمعهم والمجتمعات الأخـرى لأنهـم لم يرفـدوا مجتمعهم بآراء وأفكار يستفاد منها في البناء المعرفي والثقافي مما يشـكلون عبئـاً على المتلقي العربي.

4. المثقـف الهـارب: هـو الـذي يهـرب مـن مسـؤولية الإسـهام في دراسـة وتحليل مشاكل مجتمعه بشـكل عميـق ودقيـق وعمـلي. وهـذا المثقـف يعـزوا جميع مشاكل المجتمع للتخلف العلمي والثقافي والاقتصـادي دون البحـث عـن أسبابها التي تستحق الدراسة.

5. مثقف السلطة: هو الذي يمـوه الحقيقـة، يسـتبعد الغـير، يُعـتّم عـلى الحقيقة ويشوهها، ويخنق الطاقة الخلاقة المبدعة. ونرى أمثـال هـؤلاء بأنظمـة الحزب الواحد أو الشخص الواحد، الحاكم أو العائلة الحاكمة، والطائفة الدينيـة الحاكمة، أي يكون من مثقفي السلطة وبوُقها ويشوه الواقـع ويزيـف الحقيقـة ويتلاعب بنتائج الانتخابات وغيرها ويضلل العامة، وبهـذا الـدور يقـوم بجريمـة

أكثر تأثيراً وخطراً من جريمة القاتل أو المغتصب لأن الأخير يتجنى على شخص واحد بينما يتجنى المثقف على ملايين من أبناء مجتمعه معتقداً أن مهمته هو التفكير عن عقول الناس أو العمل على توعيتهم وهذا يؤدي إلى إقامة سلطة استبدادية ويكون هذا المثقف وعلى يده أول من يحصد الفشل والهزيمة بسبب ما قام به من تشويه وتزييف للحقائق كما حصل بنظام حزب البعث الحاكم في العراق وما يحصل في سوريا الآن وما حصل في مصر وليبيا. وبعمله هذا يقوم بجريمة جماهيرية وليست شخصية فحسب.

بالنهاية اعتقد أن المثقف العربي المعاصر عاجز عن التأثير بمحيطه وعن تطوير ثقافة مجتمعه لأنه لم يشارك بشكل فعلي وايجابي. فأن شارك فتكون مشاركته شكلية و أسمية فقط في صناعة الرأي العام مثلاً، فضلاً عن عدم مساهمته في صياغة الوعي اللازم لتطوير حياة فاعلة تعيد المجتمع العربي دوره في بناء الثقافة الإنسانية هذا إضافة إلى غياب رؤية المثقف العربي للأحداث وإخضاعها لعاملي الزمان والمكان. كل هذا ناتج عن نقص المعرفة التي آل إليها حال المثقف العربي ومازال على سعيه الدوؤب لخداع الناس وإيهامهم بأهمية دوره كممثل للحقيقة أو داعية للقضايا الوطنية والقومية، صوت للحرية والديموقراطية لتغيير العالم، وهذا دليل على جهل المثقف بما يسعى إليه وجهله بمجتمعه وبقيم الحرية ومفهوم السلطة والمؤسسة، فعليه أن يغير تعاطيه مع الواقع وان يكف عن اعتداده بمعتقداته وإيديولوجياته وادعاءاته لدوره كضمير للأمة وطليعة الشعب...الخ إلى أن يعي لدوره بشكل واقعي ومدروس.

بالعودة لثورات الربيع العربي بتقديري أن الثورة مستمرة طالما لم تحقق الأهداف التي قامت مناجلها حيث كانت الكرامة والحرية والديموقراطية والفقر والبطالة والأمية وحرية المرأة هي المطالب الأساسية لتلك الثورات وإذا تحقق ذلك عندها يمكن أن نجد أعمال خالدة مهمة تغيير وتفيد المجتمع ومنها المعرفة ومتطلباتها.

بعض النتائج الايجابية والسلبية لثورات الربيع العربي

كان للربيع العربي تأثير هائل على المواطنين في الدول التي حصلت فيها الثورات. وبعض الشيء على الدول المجاورة بعد أن سرقت أهداف الثورات من قبل الإسلام السياسي والمتطرفين وانتشار الجهل والأمية وإعطاء الفرص للتدخل الخارجي. كل ذلك وغيرها من عوامل أدت إلى خلق مناخات مواتية لنمو الحركات المتشددة والتي تسمي نفسها الجهادية. على الرغم من المصاعب الاقتصادية التي تسببت في العديد من البلدان لاسيما مصر وسوريا وارتفاع معدل البطالة وتأثر السياحة، إلا أن للشباب كان لهم دوراً مهماً وأكثر اهتماماً في تحسين مجتمعهم والمساهمة في التنمية الطويلة الأجل وتحمل المسؤولية لبناء مستقبلهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمعرفي والتحرك بعيداً عن القطاع العام.

وأدت الثورات إلى الاهتمام بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبعد التحولات الجارية في البلدان العربية ما بعد الربيع العربي أصبح المجتمع المدني والقطاع الخاص اللذان كانت تراقبهما الحكومات عن كثب لديها الآن المزيد

من الحريـات للعمـل مـما يشـير إلى احـتمال ولادة بيئـة اجتماعيـة واقتصـادية ومعرفية قابلة وحاضنة لمشاريع ريـادة الأعـمال الاجتماعيـة والمعرفيـة الجاذبـة للشباب.

وهذه أثرت على السياق الاقتصادي بالمشـاركة الشـعبية بريـادة الأعـمال حيث غير بعض الشيء مـن مفهـوم أن تكـون الدولـة أو الحكومـة هـي المـزود الرئيسي لفرص العمـل والمسـوؤلة عـن تـوفير وسـائل المعرفـة وبـدأوا يفضـلون العمل بالقطاع الخاص ويسعون لتحقيق اكبر قـدر مـن الاسـتقلالية مـن خـلال التوظيـف الـذاتي وهـذا طبعـاً لا يتحقـق إلا بتـوفر الشركـات والمـنظمات غـير الحكومية والتمويل اللازم لها وزوال العقبات البيروقراطية.

طرق تحقيق فرص العمل بالقطاع الخاص يتم عن:

1. توفير الدعم للمنظمات المحليـة والمؤسسـات الأكاديميـة العاملـة في مجـال احتضان المشاريع.
2. التركيز على المجال المعرفي وكيفية استخدام التكنولوجيا العاليـة في المجـالين الشخصي والاقتصادي.
3. مساعدة المنظمات المحلية في إصلاح الإطار القانوني والتنظيمي مـن اقـتراح وصـياغة قـوانين جديـدة لتخفيـف القيـود المصرفيـة، تشـجيع الاسـتثمار الأجنبي، تسجيل الشركات والمـنظمات غـير الحكوميـة بالإضـافة إلى ضـمان واستقرار القوانين الضريبية التي تجذب الاستثمار.

4. استخدام وسائل الإعلام وحملات التوعية لتثقيف شرائح مختلفة من السكان على العمل التطوعي وإزالة حاجز الخوف من الجازفة الذي يهيمن على مجال ريادة الأعمال في المنطقة.
5. التركيز على تعليم مادة ريادة الأعمال في المدارس والجامعات لبناء ثقافة ووعي عند هذا القطاع الناشيء في صفوف الشباب.
6. تشجيع الشراكة المحلية بين القطاعات العامة والخاصة والمنظمات غير الحكومية في البلدان العربية التي تدعم وتعترف وتثمن رواد الأعمال.
7. توسيع المشاركة في المبادرات التي يديرها مجتمع التنمية الدولي لإشراك العديد من أصحاب المصالح مع إعطاء دوراً فعالاً للمرأة المحرومة المهمشة طوال الوقت في تلك الفرص.

ومن ايجابيات الربيع العربي هو الاهتمام بالعمل التطوعي والمنظمات غير الحكومية والهَمَ روح الإيثار ودفعت الثورات إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية إلا أن الثقة غير متوفرة بالشروع في هذا العمل خلال الفترة الانتقالية.

المعرفة في أنظمة الربيع العربي

بتقديري أن تلك الناظمة الجديدة لا تهتم بالتنوع والتطور بل تسير باتجاه واحد لا يضع اعتباراً لخصوصية المجتمع ولا تتبع منهجاً للانتقال من المرحلة السابقة إلى مرحلة انتقالية تؤسس لمستقبل مختلف نوعياً. يعني ضرورة استبدال النظام المعرفي القائم على نمطٍ قديم في التنمية والتعليم وعلاقات الإنتاج

وتوزيع الأعمال بنمطٍ جديد يحقق أهـداف الحداثـة أي بمعنـى تحـول هـيكلي كامل اجتماعي، اقتصادي، معرفي يمهد للانتقـال إلى متطلبـات الحداثـة وتوزيـع الثروة والسلطة وتوسيع المشاركة الجماهيرية ونحو ديموقراطية تستوعب جميع مكونات المجتمع إضافة إلى الشفافية والمساواة وفصل السلطات.

ما يحصل الآن بعد تلك الثورات هو الانحراف عن جوهر الثورة وأهدافها واهتمامهم بالهيمنة على السلطة لتعويض الحرمان والتهمـيش الـذي عـانوه في فترات الأنظمة الشمولية من جهة وضياع القانون والنظام من جهـة أخـرى مـما أدى ذلك إلى سقوطهم في الفساد لغرض تكديس الثروات الشخصية. وأدى هـذا الوضع الشاذ إلى ظهور قوى ظلامية متطرفة معاديـة للتطـور المعـرفي والثقـافي. والأدهى من ذلـك هنـاك بعـض مـن قـادة الربيـع العـربي يسـعون إلى تفكيـك وتجزئـة دولهـم الـذي قـد يسـتمر إلى الأبـد لتحقيـق أجنـدة محليـة متطرفـة وخارجية متربصة للعودة من جديد للمنطقة.

فأصبح وفي ظل هذا الوضع من الصعوبة تحقيق الـوعي المعـرفي الجديـد والمعاصر والذي يصبح أساساً للممارسة السياسـية وإعـادة التنظـيم الاقتصـادي والاجتماعي وهذا طبعاً لا يتم إلا بتكوين رأس المال المعـرفي عـبر نظـم التعلـيم الحديثة ورفع القدرات التي تمكن المجتمع من تحقيق مسـتويات أداء متقدمـة في جميع المجالات.

ما هو رأس المال المعرفي؟ هو عبارة عن قـوة فكريـة، قواعـد المعلومـات، تراكم الخبرات، التخطيط والتحليل بهذا الشكل ستصبح المعرفة من أهم الموارد

المتاحة للمجتمع ليلحق بركب التقدم والحداثة وكذلك هي العامل الأساسي في صناعة التكنولوجيا وتكنولوجيا المعلومات أي اللغة التي يتخاطب بها العصر.

نخرج بنتيجة مفادها أن الجهات التي وصلت إلى حكومات بما يسمى (الربيع العربي) لم تبرهن حتى اليوم في أي دولة على قدرتها على إيجاد مناخ ملائم للتطور ومنه المعرفي الذي هو موضوعنا أو حتى السير في طريق انجاز تنمية في كافة المجالات والعمل على استخدام التكنولوجيا الحديثة في تعميق المعرفة للوصول إلى فهم أعمق لآفاقها. ولابد من توفر أنظمة تؤمن بالمبادئ التي تقوم عليها أركان المعرفة.

المتمعن بما يجري يرى أنظمة غير قادرة على الانجاز في أي مجال من المعرفة وأنظمة تنظر إلى الوراء ولا تتطلع للمستقبل يغلب عليها الطابع الديني القائم على الثبات والتقهقر إلى الوراء وتنعدم فيها القدرة والنظرة العلمية المعرفية التي تمكنهم وتساعدهم من التكييف ومواكبة متطلبات العصر والتطلع للمستقبل.

ويظهر لنا للعيان أن الخيارات محدودة ولا يمكن تحقيقها في ظل أنظمة الإسلام السياسي الذي يروج لتجارته عبر شعارات وفتاوى دينية لا أساس لها في الكتب السماوية ويحللون ويحرمون ويمنعون ويعيقون بشكل عشوائي مزاجي الغرض منها الربح والترويج لفتاواهم عبر الفضائيات وتسويق كتبهم

الهزيلة التي تغطي أرصفة الشوارع، وبهذه الشاكلة لا يمكنها تلك الأنظمة مواكبة عصر المعرفة والحداثة فهي لم تستفد من تأخر وفشل الآخرين.

مجتمع التنمية الدولي

(INTERNATIOAL COMMUNITY DEVELOPMENT)

هو مصطلح عام يُطلق على ممارسات النشطاء المدنيين والمواطنين المهنيين والمعنيين الذين يهدفون إلى بناء مجتمعات محلية رصينة لها القدرة على مواجهة المشاكل والصعاب بكفاءة وحرفية.

تسعى تنمية المجتمع إلى تمكين وإكساب الأفراد والجماعات المهارات التي يحتاجونها لإحداث تأثير وتغيير في مجتمعاتهم. ويتم ذلك بتشكيل جماعات اجتماعية كبيرة تعمل على تنفيذ برامج عامة تفيد المجتمع، ويجب أن يعي العاملون في هذا المجال على كيفية تنمية المجتمع وكيف يتعاملون مع الأفراد وكيف يؤثرون في الحالات الاجتماعية من خلال تلك المؤسسات الاجتماعية.

ومن المسميات الوظيفية للعاملين في هذا المجال أصحاب الأعمال، المنظمات التطوعية، المنظمات غير الحكومية التي تمولها الهيئات المستقلة المانحة و أحياناً الدولة.

لقد طور المشتغلون في تنمية المجتمع على مدار سنوات عديدة مجموعة من المهارات والمناهج والخبرات للتعامل داخل المجتمعات المحلية وبشكل خاص الشعوب التي تعاني من التخلف والفقر والأمية وتدهور الخدمات الصحية والتعليمية، ونبهت على ضرورة المساواة بتوزيع الثروات والدخل القومي.

في الوقت الحاضر المملكة المتحدة تستضيف الهيئة الدولية الرئيسية التي تمثل تنمية المجتمع وهي الاتحاد الدولي لتنمية المجتمع , وقد بدأ الاتحاد الدولي عمله في الولايات المتحدة عام 1953 ثم انتقل إلى بلجيكا في السبعينات إلى أن استقر في المملكة المتحدة(اسكتلندا) عام 1998.

انتشر مصطلح تنمية المجتمع في أمريكا، انكلترا، استراليا، كندا، نيوزيلندة ودولاً أخرى كما استخدم هذا المصطلح في بعض من دول شرق أوروبا نتيجة نشاط مؤسسات تنمية المجتمع في هنكاريا ورومانيا.

ولقد أصبحت صحيفة تنمية المجتمع OXFORD UNIVERSITY PREES التي انطلقت عام 1967 المنتدى الأساس للبحث ونشر نظريات تنمية المجتمع الدولية وممارساتها العملية.

حضيت مناهج وبرامج تنمية المجتمع بتقدير دولي وقد أقرت منظمات مثل الأمم المتحدة، الصحة العالمية، منظمة التعاون الاقتصادي، البنك الدولي، الاتحاد الأوروبي تلك البرامج والمناهج والأساليب المتبعة كأدوات مهمة للتنمية المحلية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعرفية والبيئية والسياسية.

الخـــاتمـة

على الأجيال الحالية أن تبدأ بالتفكير جدياً بمصير الأجيال القادمة والتي لم تولد بعد، وهذا يتطلب إعادة النظر بالأنانية المرضـية المتأصـلة في العديـد مـن النفسيات اليوم.

علينا الاعتماد على التخطيط الجماعي(PLANNING CONSENSUS) وهو نتاج التفكير والتحليل الجماعيين وهو أيضاً رؤية ميدانية الصنع والتطبيق والأهداف.

وعلينا أن ندرس المفاهيم الجديدة والمتغيرات المتسارعة في مجالات شـتى عند الشروع بأي خطة عمل لمواكبة تلك المتغيرات لتحقيق أفضل النتـائج ومـن ثم الاستفادة من الآخرين وتحديداً العـالم المـتحضر المتقـدم في تطـوير قـدرات العرب الذاتية في مجالات الاقتصاد والعلوم والاجتماع والفكر والمعرفة. وإعطـاء دور للإنسان بتحقيق ذلك لكي يشعر المواطن العربي انه ساهم وله دور في صنع الازدهار والتقدم.

وعلينا الالتزام بمواكبة التنمية الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والتـوازن الأمثل في مجتماعاتنا العربية وتعزيز دور المرأة والشباب وكافة شرائح المجتمـع. وإعطاء دور للقطـاع الخـاص والشركـات للمسـاعدة وإزالـة المعوقـات لتحقيـق مجتمع المعرفة وتحويل مجتماعاتنـا العربيـة إلى مجتماعـات معرفيـة وتعميـق دور اقتصاد المعلومات.

وعلينا العمل لإيجـاد مفـاهيم جديـدة متطـورة متماثلـة مـع التطـورات الحديثة الحاصلة في العالم المتقدم والإيمان بوجود فجوة حضـارية أو ثقافيـة أو اجتماعيـة بيننـا وبـين أوروبـا وأمريكـا مـثلا فالمحنـة الموجـودة في حكوماتنـا ومجتمعاتنـا العربيـة هـي الاختلافـات السياسـة والعقائديـة الكذابـة التـي يتخندقون خلفهـا بعـض الحكـام والمسـؤولين العـرب، والمذهبيـة التـي ظهـرت وبرزت مؤخراً وأخطرها الطائفية التي عمقها وغـذاها التيـار الـديني المتطـرف وبعـض الأطـراف الدوليـة الطامعـة بثرواتنـا، إضـافة إلى الخلافـات الأخـرى الاقتصادية والمالية بين بعض البلدان فمنها الغنية كدول الخليج العربي والعـراق وليبيا والجزائر، ومنها البعض الآخـر الفقـيرة التـي لا مـورد اقتصـادي لهـا، فهنـا يجب التعاون بين الدول العربية لتحقيق التكامل الاقتصـادي ولـو بالحـد الأدنى ومن ثم الانفتاح على جيرانهم والعالم. حيث يبقى الغرب متقدم علينا باقتصاده لإتقانه استخدام العقل والمعرفة والآلة.

لدى العرب كل المقومـات للنهـوض والتقـدم والازدهـار فالـدعائم قويـة لكنها ممددة على أجنابها، والنوافذ كبـيرة لكنهـا مغلقـة، والجـدران متينـة لكنهـا عالية تفصل بـين بعضـنا الـبعض، الحـل هـو إيجـاد قيـادات و رؤوسـاء مناسـبين يمارسون ويفهمون مبدأ الديموقراطية لـكي يرفعـوا تلـك الـدعائم وتفـتح النوافـذ على العالم، والتنقيب بالجدران والأبواب التي يطل منها العربي على الـوطن وعـلى العالم للاشتراك في صنع وتحقيق التقدم والتنمية وهذه تعتمد عـلى الريـادة التـي تعي وتفهـم وتواكـب التقـدم الحاصـل في العـالم وإزالـة مظـاهر التخلـف البـالي

وفتح الحوار مـع الحضـارات الأخـرى وتعزيـز التعـاون والصـداقة والمحبـة مـع الشعوب الأخرى ومن ثم تحقيق الريادة في الاقتصاد والتعليم والثقافة والإنتـاج المعرفي.

وليس هذا فقط. يجب علينا الابتعـاد عـن التفكـير بـالحروب واسـتعمال اللغة النارية والثأرية والتفكـير بأننـا أفضـل وأحسـن الأمـم وذلـك بإتبـاع نهـج التسامح، الاعتدال، العقلانية، الواقعية، التنازل أحياناً، والتفـاوض، والعمـل عـلى إشاعة الاستقرار والأمن وسيادة القانون ووضوح واستقرار التعليمات والقـرارات الاقتصادية الصائبة لتشجيع المسـتثمرين، والابتعـاد عـن الارتجـال في التخطـيط والتنفيـذ، والعمـل عـلى اقتنـاص الفـرص المتاحـة للتنميـة في كافـة مجالاتهـا الاقتصـادية،الاجتماعية، الثقافيـة، المعرفيـة. والانفتـاح عـلى التقنيـات الحديثـة والتجارة الالكترونية والانترنيت والعولمة واكتساب المهارات والمعرفة التي يجـب أن لا تتوقف.

علينا أن نفهم أنفسنا فهماً سليماً لكي ندع الآخرين يفهمونا، لأننا العرب ا قمنا القطيعة المعرفية الثقافية، السياسية، الاقتصادية مع الغـرب والعـالم الآخـر وأصبحنا نخاطبهم من الكهـوف والجهـل. فكيـف يفهمنـا الغـرب ونحـن أقمنـا سياجاً حديدياً بأنفسنا عندما سجنا أنفسـنا في زنزانـة المـاضي ذات قضـبان مـن عظام الأسلاف أشبه بالسياج الذي أقامه الاتحاد السـوفيتي السـابق لنفسـه ثـم انهار بشكل سريع وهش، وهـذا السـياج الحديـدي هـو العـداء للآخـر وتكفـير الآخرين.

فعلينا أن نتفاهم ونتصارح مع أنفسنا ومن ثم نتواصل معهم من خلال الأفكار، فهم وقراءة التأريخ جيداً أي بالعقل وليس بالعواطف، فهم وتحديث الأديان والابتعاد عن الغرائز والجروح. فالحوار بين الشرق والغرب يجب أن يتم عبر الأفكار وليس عبر الدين لأننا أساساً لا نعترف بأديان الآخرين بل نكفرهم ونعاديهم. إضافة إلى أن الغرب لا يسيره الدين حيث فصلوا الدين عن الدولة فهم يتصرفون على وفق مجموعة أفكار سياسية،اقتصادية ومعرفية فعندما تُسّيرُنا الأفكار عندها نستطيع أن نجلس مع العالم على طاولة واحدة للوصول للأفضل فلو نلاحظ انه كيف ائتلف العالم من شماله وجنوبه وغربه لكن بقي الشرق عسيراً وبعيداً.

يجب علينا أن نميز بين الإنسان والحيوان ليس على أساس المظهر الخارجي فقط فمن الناحية العلمية هناك 3 أطوار ومستويات للدماغ فالطور الانفعالي والغريزي يشترك فيهما الإنسان والحيوان، أما الطور الثالث هو طور العقل والمعرفة الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان ليقوم بوظائفه الذهنية والمعرفية.

ويجب علينا إطلاق القدرات العربية لصنع نهضة تضاهي ما صنعناه في الماضي وان نعمل للمستقبل التحسر واجترار الماضي طاقة سلبية يجب أن نحولها إلى طاقة ايجابية بالعمل واكتساب المهارات فمثلاً مدينة دبي ليست لها تقنيات لكنها استطاعت أن تنهض وتزدهر وبشكل سريع على مثيلاتها في المنطقة رغم صغر الإمارة واستطاعت أن تؤسس مدينة دبي للانترنيت في سنة

واحدة وغيرها من أبنية جميلة وصرح حضارية حديثة برج(دبي/خليفة) مثلاً....الخ مما أصبحت قُبلة العالم العربي والغربي.

فعلى العرب الاستفادة من الشمس المشرقة على مدار السنة والمياه الدافئة التي تُمكن البواخر من الإبحار طوال العام، هذا إضافة إلى الطقس المرغوب من قبل الغرب والطعام المميز والمنوع، والمدن والأسواق القديمة التاريخية وكل ذلك يتطلب توفير الأمن والأمان للمواطن والزائر والسائح فمثلاً ايطاليا واسبانيا يستقطبا لوحدهما 100 مليون سائح سنوياً.

فعند الحديث عن المستقبل فنحن نتحدث عن السلام والديمقراطية وبحُسن العمل والتخطيط والاستعداد والتفاؤل والثقة بأنفسنا وبقدراتنا لكي نتغلب على الصعوبات بحرفية ومهارة عالية فعلينا أن نتحرك بعدة جهات. من تطوير التعليم، وتنمية الكوادر البشرية، وتطوير المؤسسات البرلمانية ودعم دور القطاع الخاص وتفعيل القطاع العام، وتعزيز الشفافية والحوافز الاستثمارية، ومحاربة الفساد والرشوة.

توجد في مجتمعاتنا الكثير من المظاهر السلبية التي لا ننتبه إليها لكنها تؤثر في مجموعها في المعرفة واستيعابها والتفكير والسلوك والأداء على مستوى الفرد أو المجتمع وينبغي علينا التخلص منها بالسرعة الممكنة من خلال تشجيع السلوكيات الايجابية وجعلها هي السائدة وتطوير الأداء لأنها ستؤدي إلى نتائج ايجابية على المدى الطويل وتحقيق الاستغلال الأمثل للموارد وتُسهم في توفير البيئة التي تساعد على تعميق الإبداع والامتياز.

فالتغلب على صعوبات القرن الجديد ليست مستحيلة. فقط يتطلب منا تفكيراً جيداً وأساليب مبتكرة يمكن الاستفادة منها في تطوير مجتمعاتنا وتعجيل ومواكبة حركة التنمية وهذا يقتضي منا القبول بالجديد المفيد والامتناع عن كل ما هو قديم غير مفيد لأنه لم يُعد مناسباً الآن وآن أوان طرحه من العقول والممارسات أي انه يعني تغيير أنماط التفكير والحياة وفهم اللغة التي يتحدث بها العالم وتعميق التعاون والمحبة بين الشعوب وإزالة سوء الفهم. فالبعض منا يفكر بعقلية القرن التاسع عشر أو ابعد ليتحدث عن صراع الحضارات والأديان. اعتقد أن أساس الصراع هو على المصالح والبعض الآخر يتحدث عن عداوة بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم لتأجيج الحروب الطائفية والعرقية.

فنحن العرب بحاجة إلى المزيد من الوعي واستيعاب الآخرين وفهم لغة الحوار والابتعاد عن النظرة الدونية والتكفيرية للآخرين والعمل على التعاون العربي والإقليمي والعالم كما يجب فالعالم الآخر تقدم علينا بوعيه ومعرفته واقتصاده.

فيجب علينا التركيز على دولة الرفاه المتقدمة وهي الدولة الصغيرة القليلة السكان لأن حجم السكان الهائل يعوق النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمعرفي. فالدولة الفقيرة لإخلاص لها من الفقر أي أن تتخلص من الفقر إلا أن يكون عدد سكانها قليل، كما يحدث في مصر وغيرها من البلدان العربية الآن الكثيفة السكان من انفجار سكاني الذي يسموه بمجتمع الأرانب فذلك سوف يؤدي إلى كارثة فتلك الشعوب تتكاثر مثل العشبْ.

لقد أضحى اقتصاد المعرفة (KNOLEDGE ECONOMY) يمثل رافداً معرفياً جديداً سواءً على صعيد النظرية الاقتصادية والأطر الفكرية والمنهجية. كما يُعد أداة محورية في قياس مدى قدرة الدول على الوصول للتقدم ونجاح خططها وبرامجها للتنمية الشاملة.

فالمعرفة: هي المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي واقتصاديات المعرفة التي تعتمد على توافر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدام الابتكار والإبداع فالموارد البشرية المؤهلة وذات المهارات العالية هي أكثر الأصول قيمة في الاقتصاد الجديد المبني على المعرفة.

مجتمع المعرفة يمثل نتيجة تاريخية حتمية بجملة تحولات تطورية للمجتمع البشري من مجتمع تقليدي إلى مجتمع عصري يعتمد أساساً على المعرفة.

فالمجتمع البشري كما نعرف تطور بثلاث مراحل أساسية من الثورة الزراعية ثم الثورة الصناعية ومن ثم المعرفة باعتبارها أساس الثورة المعرفية عند طرح ثنائية الشراكة بين الأفراد وعنصر الإنتاج.

بناءً على ما تقدم فأن دخول منظومة الإنتاج الدولية ضمن نطاق العولمة ساهمت في إعطاء ثنائية (معرفة/اقتصاد) أهمية خاصة ضمن منظور التحليل والبحث العلمي بتداخل المجتمع واقتصاد المعرفة فلا اقتصاد بدون مجتمع ولا مجتمع بدون اقتصاد وبشكل عام المقصود به (مجتمع المعرفة) الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي.

فالمعرفـة أصـبحت تشـكل موجـوداً أساسـياً ومـورداً هامـاً مـن المـوارد الاقتصـادية لـه خصوصـيته، وأصـبحت المـورد الاسـتراتيجي الجديـد في الحيـاة الاقتصادية، وتبرز معالم أهميـة المعرفـة لحقيقتـين هـما الأولى: الـتراكم المعـرفي الإنساني والمهارات والإمكانـات والتـي نتجـت عـن هـذا وأسـفرت عـن تحسـين مستوى المعيشة وتحقيق الرفاهية للعديد مـن الـدول التـي نجحـت في تطـوير تلـك المعـارف والمهـارات بغـرض زيـادة مسـتويات إنتاجهـا فبتفعيـل المعـارف المتراكمة وتجديدها وتحديثها باستمرار ووضع الـنظم الفعالـة للاسـتفادة منهـا اسـتطاعت أُمـمْ أن تتفـوق عـلى أمـم أخـرى تقـدماً وتنميـة وبنـاء إمكانيـات متجددة.

أما الثانية: فترتبط بالتطور الهائل والسريع في تقنيـات المعلومـات ونظـم الاتصالات وتطبيقاتها وانتشارها بتكاليف معقولة على نطاق واسـع غـير محـدد ومن ثم تفعيلها للتعامل مع المعرفـة بـيسر وسـهولة وسرعـة بعيـداً عـن قيـود الحدود ومشقة المسافات فقـد فتحـت هـذه التقنيـات أبوابـاً جديـدة لإنتشـار المعرفة وفوائداً مكنت الكثـير مـن الـدول الطامحـة إلى التقـدم في العمـل عـلى تقليص الفجوة التي تفصلها عن الدول المتقدمة الأخرى ومن تطـوير إمكاناتهـا ومكانتها على حدٍ سواء.

فإن الاهتمام بالتقدم والتنمية في عصرنا هذا يحـتم علينـا ضرورة تفعيـل المعارف لبناء إمكانات متجـددة عـلى الـدوام وتعميـق الاسـتفادة مـن تقنيـات المعلومات والاتصالات على أكمل وجه ممكن وصولاً لبناء اقتصاد معرفي يحقـق التنمية الاقتصادية المنشودة بوسائل جديدة تخفض مـن الاعـتماد عـلى المـوارد القابلة للنضوب وتضمن مستقبلاً قابلاً للاستدامة.

المصــادر

1. العمر، د. معن خليل،(علم اجتماع المعرفة)، 2007، دار الشروق ـ عمّان.
2. الأخضر، العفيف، (كيف تضافر جرحنـا الـنرجسي ونرجسـيتنا الدينيـة عـلى تدمير مستقبلنا) 2003/6/18، www.elaph.com .
3. أبو حلاوة، كريم، (أين العرب من المعرفة)،

www.mokarabat.com/mo10-21.htm.

4. علّة مراد،(جاهزيـة الـدول العربيـة للانـدماج في اقتصـاد المعرفـة ـ دراسـة نظرية تحليلية) أستاذ مساعد ـ كلية العلوم الاقتصادية والتسـيير والعلـوم التجارية ـ جامعة الجلفة ـ الجزائر.
5. تقرير التنمية الإنسانية العربية لعـام 2003، نحـو إقامـة مجتمـع المعرفـة ،عمّان،برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
6. الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، حاكم دبي،(رؤيتي ـ التحديات في سـباق التميّز)، 2009.
7. النابلسي، د.شاكر، (الأصولية الدينيـة السياسـية العراقيـة هـل هـي الوجـه الآخر للديكتاتورية www.elaph.com 2004/3/30.
8. جودت شاكر محمود،الحوار المتمدن،2008/5/23،المحور ـ الفلسـفة ـ علـم النفس ـ علم الاجتماع www.ahewar.org.
9. اكتساب العلم والمعرفة في علم النفس www.elebda3.com/sub46.

10. تفكير المجتمع ومجتمع الشباب- بقلم علي هرماس -
www.souss24.com/62616.htm.
11. مكتبة الأبحاث – جامعة الملك سعود www.veecos.net-16.11.2011.
12. العمر، د معن خليل (علم اجتماع المثقفين)،2008، دار الشروق- عمّان.
13. أنماط التفكير www.mawhopon.net .
14. ادوارد دي بونو www.ar.wikipedia.org .

المحتويات





شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E.mail:academpub@yahoo.com



الرَّمـال للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية
تلفاكس: 08 05 533 6 962+
E.mail:alremalpub@live.com

